كتاب

كلمة التوحيد

﴿ تأليف ﴾

﴿ الشيخ حسين والى ﴾

المدرس بالازهر الشريف

ومدرسة القضاء الشرعى

الطبعة الاولى

«طبع بمطبعة الواعظ بمصر سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى خاق السموات والارض وجعل الظلمات والنور . ثم الذين كفروا بربهم يعدلون .

شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم . ان الدين عند الله الاسلام .

أفغير دين الله يبغون وله اسلم من فى السموات والارض طوعا وكرها واليه يرجعون .

هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على لدين كله وكفى بالله شهيدا .

ما كان محمد ابا أحـد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين . وكان الله بكل شيء عليما

ان الله وملائكتـه يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما

﴿ اما بعد ﴾ فهذا كتاب (كلمة التوحيد) ألفتـه لتلاميذي بالسنة الاولى من القسم الاول من مدرسة القضاء الشرعي . وقد وكلت الي فيما وكلت تدريس علم اصول الدين

ومن حكمتها وبعد نظرها في التربية الاسلامية جعلته مبـدأ ينشأ عليه النشء كفطرة الدين الحنيف . ورسمت لتعليمه طريقة مثلى . فكتبته لهم درسا درسا . ونهجت بهم منهجا قويما يوصلهم الى المعرفة من مكان قريب . ولا يجدون فيـه ما يقطع عليهم طريق الفهم الملائم لزمن بلوغهم اشدهم . ولم اسلك بهم هاتيك التعاسيف المعروفة خوف ان يقعوا في هوة تترامى بهم ارجاؤها . فقد وقع فيها كثير وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا . ولولا شغف النـاس بآثار الديار ووقوفهم بها كالجاهلية يتمسحون بالمسا كن وقـد خلت من السكان

لخرجت بهم الى مملكة التنزيل الواسعة المطمئنة ورفيق في الخروج عقل لا يلعب به الهوى. وفكر محيط بمآرب الزمان

مملكة التنزيل دالت دولتها واطول العهد ظهر فضلها فكان لها من جيوش الفطرة السالمة مايرد كيد الاعداء. كما أوتيت من قوة البراهين. مايبدل الشك باليقين . ولكن الانسان تحت سيطرة جوه وارضه فاذا اعتدل الجو وحييت الارض خرج النبات بأذن ربه صالحا .

ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ؟

﴿ حسين والى ﴾

تاريخ التوحيد

التوحيد في الاصل قبل الاصطلاح هو اعتقاد وحدانية الله بلا تشريك

وانبنى على ذلك عقائد كثيرة منها شيء في النبوة والرسالة

طالب الله الخلائق بتوحيده على لسان رسله من لدن آدم كما في القرآن والكتب السماوية قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون

فالتوحيد بهذا المعنى وقع التكليف به قديما وكان معروفا في الشرائع القديمة . ولكن كثيرا من تلك الامم كان يبتعد من برهان العقل ويقف في الغالب عند ظاهر الكتب السماوية ويزعم ان بين الدين والعقل تنافراً فنشأ بسبب ذلك خلط واختلاف

وفي زمن الفترة وصل قوم الى توحيد الله بالعقل واستدلوا بما عن لهم من صنع الله كورقة بن نوفل وزيد بن عمرو وغيرهما

والتوحيد في الفترة ينجي من عذاب الله

ثم ظهر الاسلام وانزل الله القرآن أكمل من الكتب السماوية فبين حقوق الله وصفاته وأدحض بالبراهين. حجج المبطلين. وأيد محمدا صلى الله عليه وسلم. وطالب الالباب والعقول بالتدبر والتفكر في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار وغير ذلك. حتى اذا عرفوا اذعنوا له وسلموا دعواه

من هنا اتفق العقل والدين كما امر الله في كتابه. وما كان ذلك حاصلا من قبل. ومن ذلك عرف المسلمون ان من الدين مالا يفهم الا بواسطة العقل كالعلم بوجود الله وقدرته على ارسال الرسل وغير ذلك

وصف الله نفسه في القرآن باوصاف كالقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام والاستواء على العرش وأثبت ان له وجها ويدا

واعطى الانسان شيئا من نحو هذا الجنس ولله المثل الاعلى. فكان ذلك سببا في بحث العقل. فأخذ الناس

يفهمون ويتفكرون. وفى كل واد من أودية الكلام يهيمون لان المطلوب الاعتقاد اللازم بأى طريقة كانت فان القرآن لما امر بالتفكر اطلق الامر

(كل من فى الوجود يطلب صيدا

غير ان الشباك مختلفات)

وكان الناس فى زمن النبي صلى الله عليه وسلم يرجعون اليه . ثم رجعوا من بعده الى ابى بكر وعمر . وكانوا ينزهون الله كما يفهمون من الكتاب . ويفوضون العلم اليه فيما يوهم التشبيه

ثم حدثت الفتنة التى فيها قتل عثمان وكان من اهل الفتنة رجل يهودى يقال له عبد الله بن سبا اسلم وتشيع لعلى حتى زعم ان الله حل فيه . وطعن على عثمان . ودعا الناس الى مبايعة على وقال انه احق بالخلافة . وأظهر الرفض عند حكم الحكَمين . فى صفّين

فكان ذلك منشأ لعقائد السوء فى زمنه وبعد زمنه .

ولما قتل عثمان صار المسلمون احزابا وتفرقت الكلمة . ثم انتهى

الامر بعد ما كان من امر علىّ لبنى امية . وكل حزب ينصر رأيه فى امر الخلافة بالقول والعمل

ولما تفرق المسلمون شيعا تمكن اليهود من وضع الاحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وسلم و بثها فى المسلمين من حيث لايشعرون . يريدون بذلك هدم الاسلام لانه انتزع منهم الرياسة

وكذلك وضع بعض المسلمين احاديث يروجون بها امر أحزابهم الى غير ذلك

وبدا التأويل فى كتاب الله وسنة نبيه وظهر التغالى فى الدين . وافترق الناس فطائفة شيعة وطائفة خوارج وطائفة معتدلة . وقال الخوارج بكفر غيرهم وقال الشيعة فى علىّ مايقال فى الاله

كل ذلك تفرع عنه خلاف كثير فى العقائد

وما كفى ذلك حتى دخل فى الاسلام طوائف كثيرة وكل طائفة ترغب ان توفق بين ما كان عندها وبين مافى الدين الاسلامى فزادت الشبه واختلط الحق بالباطل

ثم ظهر الامام الحسن البصرى المتوفى سنة (١١٦) للهجرة وكان له مجلس فى البصرة لتعليم العلوم . وكان من تلاميذه واصل بن عطاء المتوفى سنة (١٣١) فاختلف معه فى مسألة الاختيار واستقلال الانسان بأرادته وافعاله الاختيارية ومسألة مرتكب الكبيرة ولم يتب منها ـــ فامره الحسن البصرى ان يعتزل مجلسه فهو أول من سمى معتزليا

فلما اعتزله صار يعلم الناس اشياء من نزغاته وترهاته لم يأخذها عن شيخه

الجبرية يقولون الانسان كاغصان الشجرة فى حركاتها الاضطرارية

وأكثر السلف يقولون العبد مختار فى اعماله الصادرة عن علمه وارادته

والخلاف كل يوم يتزايد حتى وصل الى صفات المعانى فبعضهم قال بها وبعضهم نفاها

وكانت الآراء فى الخلفاء والخلافة تجرى مع الآراء فى العقائد

ولكن قال رجل فى زمن بنى أمية بخلق القرآن فقتل

وابتدع معبد الجهنى الكلام فى القدر بالبصرة فقتله عبد الملك بن مروان

والجعد بن درهم مؤدب مروان الحمار آخر ملوك بنى امية قال ان الله لايتكلم وانه مخلوق على العرش – هذا الرجل أخذ مذهبه من مذهب لبيد بن أعصم اليهودى القائل بخلق التوراة

حصل هذا وخلفاء بنى امية لايردون الناس الى طريقة قويمة يتضح بها الامر وينقطع عندها النزاع . كأن لهم من وراء ذلك امرا

ورضى الله عن عمر بن عبد العزيز فانه وضع حدا للحديث بقيت مصلحته الى اليوم

ثم ان اتباع واصل بن عطاء كثروا وأخذوا من كتب اليونان ماناسب عقولهم وخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا

وكان كثير منهم من فارس . ولرجال فارس الحظوة عند خلفاء بنى العباس كالبرامكة وأشياعهم فعضدتهم الدولة العباسية

فصار رأيهم ظاهرا غالبا وألفوا الكتب الكثيرة وفيها مافيها فانساق المتمسكون بطريقة السلف الى الرد عليهم بقوة الدين لا قوة الخلفاء

ثم عظمت فتنة القول بخلق القرآن فقال بذلك جماعة من الخلفاء وتمسك جماعة بظاهر الكتاب وقالوا انه قديم وامسك جماعة عن الخوض فى هذا الكلام يرون ان ذلك من مجاراة البدعة

وكانت هذه الفتنة سببا في اهانة أئمة الدين وكثير من رجال العلم

وكان في تلك الازمنة طائفة الدهريين واهل الحلول ويسمون بالباطنية والاسماعيلية أوّلوا فى القرآن تأويلا لم يأذن به الله حتى ضلوا واضلوا

هم الزنادقة الذين اتفق السلف ومخالفوهم على مقاومتهم

ثم جاء ابو الحسن الاشعرى المتوفى سنة (٣٣٠) أوونيف فكتب فى علم التوحيد وتوسط بين السلف ومخالفيهم واثبت العقائد على قواعد النظر . فارتاب فريق فى امر الرجل . وقال

بكفره جماعة . ونصرته طائفة وسموا رأيه بمذهب اهل السنة والجماعة . فضعفت الطائفة المتمسكة بالظاهر والطائفة المبالغة حتى لم يبق منهم بعد نحو قرنين الا قليل يسكنون اطراف البلاد الاسلامية

ان الذين نصروا مذهب الاشعرى اوجبوا الايمان بما قاله من المقدمات والنتائج . ومنعوا الناس من الاستدلال بغير ما قال . وقالوا عدم الدليل يؤدى الى عدم المدلول . ولم يتفكروا فيما وراء ذلك

فلما جاء الغزالى والرازى واتباعهما قالوا مامعنى هذا الحجر وما سببه . ان الدليل الذى دُوّن قد يكون ضعيفا عند جمهور العقلاء وقد يكون باطلا . وليس هذا كلاما سماويا فلا بد من الاستدلال بغيره كما امر الله والعقل الصحيح . فهم فى هذا كله يوفقون بين الدين والعقل

اما الفلاسفة فانهم ينظرون من جهة العقل اكثر ومع ذلك لم يتباعدوا عن اهل الكلام بل تعرضوا للمنازعات التى حصلت بين اهل النظر فى الدين فحصل خلط وفساد كبير

فتصدى لهم اهل العقائد وشجعان هذا الميدان كالغزالى واتباعه واخذوا من كتبهم مايظن ان له مساسا بالدين كالالهيات وتركيب الجسم وحكم المادة والجوهر والعرض وغير ذلك . ثم وجهوا عنايتهم فى نقد ذلك والرد عليه بما يجعل اغلب ما قالوه فى غير محله . وهذا هو سبب خلط الكلام بمذاهب الفلاسفة فى كتب المتأخرين كما نجده في كتاب البيضاوى والعضد والسعد وغيرهم

امهات العقائد

اعتقاد تنزه الله فى ذاته عن مشابهة المخلوقين . والا لما صح انه خالق لهم على هذا التقدير

واعتقاد تنزهه عن صفات النقص والا لشابه الحادث

واعتقاد توحده بالايجاد والا لم يتم الخلق للتمانع

واعتقاد انه عالم قادر والا لما كانت الافعال تامة

واعتقاد انه مريد والا لم يخصص شيء من الكائنات

واعتقاد انه شاهد قضائه والا لم يكمل الايجاد والخلق

واعتقاد انه مقدر لكل كائن والا فالارادة حادثة

واعتقاد انه يعيدنا بعد الموت تكميلا لعنايته بالايجاد

واعتقاد بعثة الرسل للنجاة من شقاء المعاد لاختلاف احواله بالشقاء والسعادة وعدم معرفتنا بذلك

هذه العقائد بأدلتها العقلية هي التي اخذ بها السلف . وأدلتها من الكتاب والسنة كثيرة

ثم بعد ذلك حصل خلاف في تفصيلها . واكثره من الآيات المتشابهة فنشأ التناظر والاستدلال العقلي زيادة على النقلي فحدث بذلك علم الكلام

اعلم ان المتحدة والمبتدعة انقرضوا والأئمة من اهل السنة كفونا شرهم وامرهم فيما دوّنوا وكتبوا . والادلة العقلية انما احتاجوا اليها حين دافعوا وانتصروا

ولم يبق منهم الآن الا كلام تنزه الله عن كثير ايهاماته واطلاقاته

الجنيد رحمه الله على قوم يفيضون الكلام فى علم الكلام فقال ماهؤلاء فقيل له قوم ينزهون الله بالأدلة عن صفات الحدوث وسمات النقص فقال

« نفى العيب حيث يستحيل العيب عيب »

ولكن لايحسن بطالب العلم وحامل السنة الجهل بالحجج النظارية على عقائدها

ان علماء الاسلام ما كتبوا فى العقائد ليثبتوا فى أنفسهم العلم بالله . وانما كتبوا ليردعوا من جحدوا بالله أو صفاته أو رسالة الرسل عليهم الصلاة والسلام أو اعادة الجسم بعد الموت او نحو ذلك

ولم يقتلوا الجاحدين خوفا من الفتنة ورحمة بهم ورجاء عودهم للحق وغير ذلك . فالبرهان عندهم كالمعجزة يدساقون بها الى دين الاسلام

والراجع بالبرهان اصح ايمانا من الراجع بالسيف

واذا كان الانسان مؤمنا فالواجب ان يأخذ عقيدته من القرآن فانه دليل قطعى سمعى عقلى . وان يعرف الدلائل العقلية المحضة ليرد بها على منكر الشرع كالبرهمى . فان الشرع محل نزاع بيننا وبينه

ومن أخذ عقيدته من طريق الفكر والنظر ولم يعتضد بالشرع فانه يوشك ان يخطئ فى نظره

واعلم أن العوام على قواعد دين الاسلام لان الله أبقاهم على صحة العقيدة بالفطرة الاسلامية

وهم على خير ما لم يتأولوا فى ظاهر الكتاب والسنة . فان تأولوا الحقوا باهل النظر فاما اصابة واما خطأ

اذا سمعت مسألة قالها فيلسوف او معتزلى فلا تبادر الى انكارها . وعليك بالتؤدة حتى يتضح الامر فعسى أن تكون تلك المسأله مما عنده من الحق

واعلم ان الحديث المتواتر المقطوع به يكون فى العقائد

وخبر الواحد اذا كان صحيحا كفى فى احكام الدين ٠ فان تعلق بالآخرة فقل ان كان صحيحا عن النبي صلى الله عليه وسلم فأنا مؤمن به

مبادئ التوحيد

حده انه علم يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالادلة العقلية والرد على المنحرف فى الاعتقاد عن مذهب السلف وأهل السنة

وموضوعه المعلومات التى يحمل عليها شئ تصير معه عقيدة دينية كقولنا الواجب قديم ٠ وشريك البارى ممتنع ٠ فلا فرق فى المعلوم بين الموجود والمعدوم

وفائدته النجاة من العذاب المرتب على الكفر وسوء الاعتقاد

وغايته أن يصير الايمان متيقنا محكما

واعلم أن ما رتب على الشيء ان كان مما يميل اليه كل الناس طبعا فهو الفائدة والا فهو الغاية . فهما متحدان ذاتا مختلفان اعتبارا .

وفضله انه اشرف العلوم لانه متعلق بذات الله وذات رسله ولان غايته اشرف الغايات

ونسبته الى غيره من العلوم انه من العلوم العقلية وأصل العلوم الدينية

واستمداده من الادلة العقلية بحسب الاصل .

وواضعه بالكيفية المعروفة الآن ابو الحسن الاشعرى واتباعه . اعنى انه اشهر من كتب فى تلك الطريقة المثلى

ومسائله قضاياه النظرية الاعتقادية مثل كل كمال فهو ثابت لله

وحكمه الوجوب العينى على كل مكلف قبل الاشتغال بشئ . وتكفى الادلة الاجمالية

وأما الادلة التفصيلية فهى فرض كفاية اذا قام بها بعض الامة سقط الحرج عن باقيها

واسمه اصول الدين والفقه الاكبر وعلم الكلام وعلم التوحيد

أما تسميته بعلم الكلام فلأن أشهر مسألة وقع فيها الخلاف في مدة زهو بني العباس هي ان كلام الله الذي يقرؤه القاوئ حادث او قديم . اولان هذا العلم يدور على الدليل العقلي وأثره يظهر في كلام المتكلم

وأما تسميته بالتوحيد فهي تسمية بأهم أجزائه وهو اثبات وحدانية الله وذلك هو المقصد الاعظم من بعثة النبي عليه الصلاة والسلام

﴿ الحكم من حيث هو ثلاثة أقسام ﴾

الاول الحكم الشرعي وهو كلام الله المتعلق بفعل الشخص من حيث التكليف أو الوضع له

الثاني الحكم العادي وهو اثبات أمر لامر او نفيه عنه بواسطة التكرار

الثالث الحكم العقلى وهو اثبات امر لامر او نفيه عنه من غير توقف على وضع واضع او تكرار

فهو مايستقل به العقل لو التفت اليه بدون توقف على عادة اوشرع

الحكم العقلى يجرى فى نحو الواحد نصف الاثنين ـ وكل الشئ اعظم من جزئه . وليس ذلك غرضنا فى علم الكلام

اما الحكم العقلى الذى يحتاج اليه فى علم الكلام فثلاثة اقسام

(الوجوب ـ والاستحالة ـ والامكان ويعبر عنه بالجواز)

فالوجوب هو امتناع قبول الانتفاء . فهو اعتبار يرجع اليه قول بعضهم انه عدم قبول الانتفاء

والواجب مالا يقبل الانتفاء

هذه طريقة من يقول الواجب واجب فى نفسه وجد عقل اولم يوجد . فهو تعريف من حيث الصفة الواقعية لامن حيث ادراك العقل . ولكنه ينسب اصطلاحا للعقل

لانه يصح له ان يدركه لو وجد

واذا اطلق الوجوب فى علم الكلام فمعناه كما ذكر

اما قولهم يجب على كل مكلف ان يعرف ما يجب لله فهو بالمعنى المعروف عند الفقهاء . وهو كون الشئ بحيث يثاب على فعله ويعاقب على تركه

فهناك فرق بين قولنا يجب لله كذا . وقولنا يجب على المكلف كذا

الواجب قسمان ضرورى ونظرى

فالضرورى مالا يحتاج الى نظر واستدلال كتحيز الجرم بمعنى اخذه قدرا من الفراغ الموهوم ثبوته لان الكون مملوء بالهواء فلا فراغ

وتحيز الجرم كذلك واجب مقيد بوجود الجرم ولولا ذلك التقييد لكان مسبوقا بالعدم فكان من الجائز . هذا هو الواجب لذاته المقيد

اما الواجب لذاته المطلق فكذات الله وصفاته

واما الواجب لغيره فمثل وجود بعض الممكنات فى زمن

علم الله وجوده فيه

هذه ثلاثة اقسام للواجب

والنظرى ما احتاج الى نظر واستدلال نحو قدرة الله مما يذكر فى هذا الفن مدللا له

والاستحالة امتناع قبول الثبوت فهى اعتبار يرجع اليه قول بعضهم هى عدم قبول الثبوت

والمستحيل مالا يقبل الثبوت

وهـذه طريقة من يقول المستحيل مستحيل فى نفسه وجد عقل اولا . فهو تعريف من حيث الصفة الواقعية كما مر

والمستحيل ضرورى ونظرى . فالضرورى كخلو الجرم عن الحركة والسكون . والنظرى كالشريك

ثم ان المستحيل ينقسم ثلاثة اقسام كالواجب : الذاتى المقيد كعدم تحيز الجرم . والذاتى المطلق كالشريك . والعرضى كوجود شئ ممكن فى زمن علم الله عدمه فيه

والامكان قبول الانتفاء والثبوت على التناوب فانه لا يمكن اجتماعهما فى آن واحد .

فالممكن اعتبار دائما فى عباراتهم

وهذه طريقة من يقول الممكن ممكن فى نفسه وجد عقل او لم يوجد فهو تعريف من جهة الصفة الواقعية كما مر

والممكن ضرورى ونظرى . فالضرورى كحركة الجرم او سكونه

والنظرى كأن يعذب الله الطائع ولو فى مقابلة الطاعة وان استحال ذلك شرعا . وكأن يثيب الكافر ولو فى مقابلة الكفر

اما العاصى بغير الكفر فاثابته جائزة شرعا وعقلا

وكان ذلك نظريا لتوقفه على برهان الوحدانية ومعرفة ان الله يفعل مايشاء ويختار لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

وعند ذلك البرهان تجد العقل لا يخالف ذلك الكتاب المعصوم الذى انزله واهب العقل

وبذلك يرد ماذهب اليه المعتزلة من وجوب تعذيب الكافر واثابة الطائع . ولكل وجهة هو موليها . ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء

ان الظلم هو التصرف على خلاف الامر والنهى . والآمر
والناهى هو الله تعالى

ويمكن تمثيل الواجب والمستحيل والممكن بحركة الجرم
وسكونه فالواجب احدهما لابعينه . والمستحيل خلوه عنهما
والممكن ثبوت احدهما معينا بدل الآخر

﴿ الاشياء ثلاثة اقسام ﴾

الموجود وهو مايمكن ان يحس ولو بالرؤية . والمعدوم
وهو مالا ثبوت له . والاعتبار وهو ماثبت فى الذهن فقط .
وهو منتزع من موجود فى الخارج يراد فى علم الكلام .
ومخترع كبحر من زئبق لايراد فى علم الكلام

اذا عرفت ذلك فأهل السنة والمعتزلة بلاخلاف يثبتون
لله كونه قادرا ومريدا وعالما وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما
ويقولون ان الكون امر ثابت فى الذهن منتزع من
منشئه الموجود خارجا

ثم بعد ذلك يختلفون فالاشعرى صاحب المذهب الحق

يقول الكون فى الذهن فقط فكونه قادرا الخ ليس من الصفات

وغيره يقول الكون فى الذهن . وكذلك فى الخارج على انه واسطة بين الموجود والمعدوم فهو صفة زائدة على القدرة وما معها . ويسمى ذلك حالا . ولكن طريقته ضعيفة

فالخلاف فى كون المعنوية التى هى كونه قادرا الخ زائدة على صفات المعانى التى هى القدرة الخ او غير زائدة

والحق انه لاحال اى لازيادة على ماذكر تسمى حالا

اما قولهم نافى المعنوية كافر فمعناه نافيها مع ثبوت اضدادها لله - واما نافى ثبوتها فى الخارج وزيادتها على صفات المعانى فهو الحق كما اشرنا اليه

وعلى كلا الامرين المعنوية نسبة للمعانى . وانما نسبت اليها لانها تلازمها . والادلة واحدة

﴿ الوجود ﴾

اعلم ان وجود الله امر زائد على ذاته في التعقل لا غير فهو اعتبار حتى قيل ان الوجود عين الموجود . اى ليس في الخارج شئ زائد على الموجود وان وجد في الذهن والتعقل

وقيل الوجود غير الموجود لأن الوجود صفة ثبوتية لا توصف بوجود ولا عدم فهي حال . وهذا ضعيف لان الحق انه لا حال كما عرفت

ان طائفة تسمى الوجود صفة نفسية ، نسبة الى نفس الله وذاته ، لان الذات لا تتعقل الا بها لكنه ليس صفة اصطلاحية على الراجح وان وقع صفة في العبارة واللفظ . فما قيل في المعنوية يقال فيه . فالله موجود ويستحيل عليه العدم

والدليل على ذلك وجود هذه المخلوقات فان هذه المخلوقات حادثة . وكل حادث لابد له من محدث

ودليل حدوث هذه المخلوقات انها ملازمة للاعراض الحادثة كالحركة والسكون وغيرهما

ودليل حدوث الاعراض مشاهدتها متغيرة من عدم الى وجود وغير ذلك

والدليل على أن كل حادث له محدث انه لو وجد الحادث بدون محدث لزم ترجيح وجود الممكن على عدمه بلا مرجح . وذلك مستحيل بالبداهة

ولا يخفى ان الوجود والعدم بالنظر الى ذات الممكن سيان كما قاله الجمهور

وذهب بعضهم الى ان العدم راجح لانه سابق على الوجود

وعليه يقال لو حدثت الكائنات بنفسها من غير محدث لترجح المرجوح بلا سبب وذلك أقوى في الاستحالة مما تقدم

فهذه الكائنات المشاهد تغيرها لو كانت مستحيلة لما وجدت . ولو كانت واجبة بذاتها لما تغيرت . فتعين أن تكون ممكنة وأن يكون لها موجد يفيض عليها الوجود . وذلك الموجد لا بد أن يكون واجبا لذاته . ويستحيل أن يكون عينها لان العلة متقدمة على المعلول ويمتنع تقدم الشيء على نفسه

ويستحيل ان يكون جزءا منها لانا ان فرضناه أولا لزم كون الشيء سببا لنفسه . وان فرضناه غير اول ازم كون الشيء سببا لنفسه ولما سبقه . وذلك باطل بالبداهة

﴿ القدم ﴾

هو صفة سلبية لانها سلبت ونفت اولية الوجود وافتتاحه

فالقديم هو الذي لا اول لوجوده ولا افتتاح

ويجوز اطلاق القديم عليه تعالى اجماعا ولوروده في بعض الروايات بدل الاول في اسمائه الحسنى

والقديم والازلي بمعنى واحد . وقيل القديم خاص بالوجودي . والازلي أعم منه . فيجتمعان في نحو ذاته وقدرته تعالى . وينفرد الازلي في العدمي كالبقاء والمخالفة للحوادث

الله قديم ويستحيل عليه الحدوث

والدليل على ذلك انه لو لم يكن قديما لكان حادثا . ولو كان حادثا لافتقر الى محدث . ولو افتقر الى محدث لزم الدور أو التسلسل وكلاهما محال لما نذكره

فما ادى اليها وهو افتقاره الى محدث محال ، فما ادى اليه وهو كونه حادثا محال ، فما ادى اليه وهو عدم كونه قديما محال ، فثبت نقيضه وهو القدم . واستحال ضده وهو الحدوث لانه لا واسطة بين القدم والحدوث

الدور وأبطاله

الدور توقف الشيء على مايتوقف عليه

فان كان كتوقف ا على ب وتوقف ب على ا سمى مصرحا

وان كان كتوقف ا على ب و ب على ج و ج على ا سمى مضمرا

والدور باطل لانه يلزم عليه تقدم الشيء على نفسه وتأخره عنها . وذلك جمع بين الضدين

فلو قيل وجود الاله متوقف على وجود العالم لزم وجود العالم قبل وجود الاله مع ان الاله سبب في وجوده

ولو قيل وجود العالم متوقف على وجود الاله لزم وجود

الاله قبل وجود العالم ولزم فى مسألة الدور كون العالم سببا فى وجود الاله . فكل منهما متوقف على الآخر فيلزم وجود العالم قبل وجود العالم وذلك باطل بالضرورة كما اشرنا اليه

التسلسل وأبطاله

التسلسل هو ترتب امور لانهاية لها كقول القائل للعالم محدث وللمحدث محدث وهكذا الى مالانهاية من غير دوران ورجوع للاول . فان دار ورجع للاول فذلك دور وتسلسل مجتمعان

التسلسل باطل لانا لو قلنا به لزم زيادة عدد المعلولية على عدد العلية مع ان العقل يطلب التكافؤ فى العدد . والتالى باطل

دليل بطلان القضية انا لو فرضنا سلسلة من معلول اخير الى غير نهاية كان كل ماهو علة فيها معلولا من غير عكس . فان الاخير معلول وليس بعلة لشئ من السلسلة فقد زاد عدد

المعلولية على عدد العلية

ولو كانت المعلولات متناهيــة لم يلزم ذلك فان مبدأ السلسلة يكون حينئذ علة لا معلولا . ومنتهاها وهو المعلول الاخير يكون معلولا وليس بعلة فيتساوى عدد المعلولية والعلية

ودليل بطلان التالى ان العلية والمعلولية متضايفان تضايفا حقيقيا . فاذا وجد احدهما وجد الآخر . فلا بد ان يوجد بأزاء كل واحد من احدهما واحد من الآخر فتحصل المساواة فى العدد بالضرورة

واعلم ان العلة المؤثرة يجب ان تكون مع المعلول فى زمان وجوده . والا جاز افتراقهما فيكون عند وجود العلة لا معلول وعنــد وجود المعلول لا علة . فليس وجوده لوجودها فلا علية بينهما

﴿ البقاء ﴾

هو صفة سلبية لانها سلبت ونفت عنه الفناء فالباقى هو الذى لا يلحقه العدم والفناء فلا آخر له

الله باق ويستحيل عليه العدم والفناء

والدليل على ذلك انه لو لم يكن باقيا لامكن عدمه وفناؤه ٠ ولو امكن ذلك لكان حادثا ٠ ولو كان حادثا لافتقر الى محدث ٠ ولو افتقر الى محدث لزم الدور او التسلسل وكلاهما باطل كما مر فبطل ما ادى اليه فثبت المطلوب

أو يقال لو لم يجب له البقاء لامكن ان يلحقه العدم والفناء لكن امكان لحوق العدم له محال ٠ لأنه لو امكن أن يلحقه العدم لانتفى عنه القدم . لكن انتفاء القدم عنه محال كما تقدم ٠ فكل من وجب قدمه استحال عدمه

﴿ المخالفة للحوادث ﴾

هى صفة سلبية لانها سلبت ونفت عنه المماثلة للحوادث

الله مخالف للحوادث ويستحيل عليه ان يماثلها مطلقا فليس جسما ولا جوهراً ولا عرضا ولا والدا ولا مولودا ولا نحو ذلك

والدليل على ذلك انه لو لم يكن مخالفا للحوادث لكان

مماثلا لها . لكن المماثلة مستحيلة لانه لو ماثل شيئا منها لكان حادثا كذلك الشيء لكن كونه حادثا محال لما تقدم

او يقال لو ماثلها لكان حادثا مثلها وذلك محال لما تقدم

﴿ قيامه بنفسه ﴾

هو صفة سلبية لانها سلبت ونفت عنه قيامه بغيره مطلقا فليس صفة ولا محتاجا الى محدث

الله قائم بنفسه . ويستحيل أن يقوم بغيره مطلقا . الله لا اله الا هو الحي القيوم

انه لولم يقم بنفسه بل كان صفة لاحتاج الى محل يقوم به . لكن احتياجه الى ذلك محال لانه لو احتاج اليه لكان صفة لكن كونه صفة محال لان الصفة لا تتصف بصفات المعاني والله متصف بها بالأدلة الواضحة

اما الوجود والصفة السلبية فان الصفة تتصف بهما

فالقدرة مثلا تتصف بالوجود وتتصف بالقدم والبقاء

ولو لم يقم بنفسه بل كان محتاجا الى محدث لكان حادثا لكن كونه حادثا محال لما تقدم

﴿ الوحدانية ﴾

هى صفة سلبية لانها سلبت ونفت عنه التعدد فى الذات والصفات والافعال

الوحدانية فى الذات لها معنيان

(الاول) عدم التركب فيها . فانتفى الكم المتصل فى الذات . وهو عرض يقوم بمتصل الاجزاء

الله واحد فى ذاته . ويستحيل ان تتركب ذاته

ودليل ذلك دليل المخالفة للحوادث . فلا يوجد خارجا ولا ذهنا اجزاء لذاته لانه لو كان مركبا لتقدم وجود كل جزء من اجزائه على وجود جملته التى هى ذاته . وكل جزء من اجزائه غير ذاته بالضرورة . فيكون وجود جملته محتاجا الى وجود غيره . ولكنه واجب . والواجب وجوده لذاته

(الثانى) عدم التعدد فانتفى الكم المنفصل فى الذات . وهو

عرض يقوم بمنفصل الاجزاء

الله واحد ، ويستحيل تعدده

والدليل على ذلك انه لو تعدد الاله لفسد هذا العالم ولم يوجد . واللازم باطل بالبداهة . فما ادى اليه وهو التعدد باطل . فثبت نقيضه وهو الوحدانية

وانما يلزم من تعدد الاله فساد العالم وعدم وجوده . لان الالهين اما ان يتفقا او يختلفا

فان اتفقا على ايجاده شركة لزم نقصهما وعجز كل منهما عن ايجاده منفردا . او لزم انهما اله مركب من الهين . والمركب غير اله حقيقى لانه حادث

وان اتفقا على ايجاده فى آنين بمعنى ان كلا منهما يوجده ولكن احدهما بعد الآخر لزم تحصيل الحاصل . وهو محال بالبداهة

وان اتفقا على ايجاده فى آن واحد لا على سبيل الشركة كان للعالم وجودان . والعقل لا يسلم الا وجودا واحدا

وان اختلفا فاراد احدهما ايجاده والآخر اعدامه لزم

اجتماع النقيضين فلا تنفذ ارادتهما معا . ولو نفذت ارادة احدهما دون الآخر فمن لم تنفذ ارادته عاجز . قال بعضهم ان النافذ مراده هو الاله

والوحدانية فى الصفات لها معنيان ايضا .

(الاول) عدم تعدد الصفة من جنس واحد فليس له قدرتان فاكثر فانتفى الكم المتصل فى الصفات

الله واحد فى صفاته . ويستحيل عليه ضد ذلك

والدليل على ذلك انه لو تعددت صفاته كما ذكر لزم اجتماع مؤثرين على اثر واحد وهو باطل بداهة او كانت ذات تركب وكثرة بعد نقصان . واللازم باطل بدليل المخالفة للحوادث فكذا الملزوم

وجوز بعضهم تعددها بتعدد المتعلقات

واعلم ان قيام الصفات من جنس واحد بالذات منزل منزلة التركب والا فهو منتف فيما ذكر

(والثانى) عدم ثبوت صفة لغيره تعالى كصفته

ولا مانع أن يكون لغيره قدرة مثلا لا كقدرته تعالى فانتفى الكم المنفصل فى الصفات

الله واحد فى صفاته ويستحيل أن يكون لغيره صفة كصفته

والدليل على ذلك دليل المخالفة للحوادث

والوحدانية في الافعال لها معنيان ايضا

(الاول) عدم مشاركة غيره له فى فعل . فانتفى الكم المتصل فى الافعال

الله واحد فى فعله ويستحيل ان يشاركه غيره فيه

(والثانى) عدم ثبوت فعل لغيره تعالى . فانتفى الكم المنفصل فى الافعال

الله واحد فى فعله ويستحيل أن يكون لغيره فعل

والدليل على وحدانية الله فى الافعال واستحالة ضدها انه لو كان هناك موجدان للافعال فاما ان يتفقا على ايجادها او يختلفا الى آخر ما تقدم

فالوحدانية المطلقة تنفى الكموم الستة على ما تقدم

واعلم أن تعدد افعال الله كالخلق والرزق وغيرهما ثابت لا يجوز نفيه

واعلم ان العبد لا يخلق افعال نفسه والا كان عالما بتفصيلها واللازم باطل بدليل ان النائم قد تصدر منه افعال ولا يعلمها فضلا عن تفصيلها

فالعبد يتوجه نحو الفعل فيريده وبعد ذلك يوجده الله بقدرته. فالحاصل من العبد يسمى كسبا

فلا نقول لا دخل للعبد فى الفعل ولا نقول لا دخل لله فى الفعل بل نتوسط وخير الامور اوساطها. قال تعالى والله خلقكم وما تعملون

واعلم ان المشهور فى ادلة الوحدانية هو برهان التمانع الذى يشير اليه قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا. وقد يسوقه المتكلمون كما نقول

لو امكن ألهان صانعان قادران على الكمال بالفعل او بالقوة لامكن بينهما التمانع فيريد احدهما كذا والآخر خلافه لان كليهما ممكن في نفسه كتعلق الارادة بكل منهما فانه لا تدافع بين تعلق الارادتين وانما هو بين المرادين. فاذا حصل الامران اجتمع الضدان. والا لزم عجز احدهما وذلك امارة الحدوث والامكان. فالتعدد يستلزم امكان التمانع وهو يستلزم المحال فيكون محالا. وهذا تفصيل قولهم اذا لم يقدر احدهما على مخالفة الآخر لزم عجزه واذا قدر لزم عجز الآخر

قال بعضهم الآية حجة اقناعية والملازمة عادية لان العادة جرت بوجود التمانع والتغالب اذا تعدد الحاكم قال تعالى « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذاً لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون »

قال بعضهم وانما تكون حجة اقناعية ان حملت على نفي تعدد الصانع مطلقا. ولكن ظاهر الآية نفي تعدد الصانع المؤثر في السماء والارض أي لو كان المؤثر فيهما آلهة الخ.

وليس المراد او تمكن فيهما آلهة الخ . لان الاله منزه عن التمكن مطلقا

فالحق ان الملازمة قطعية لان التوارد باطل ، فتأثيرهما اما اجتماعا او توزيعا فيلزم انعدام كلهما او بعضهما اذا لم يكن احدهما صانعا . لانه جزء علة اوعلة تامة فيفسد العالم ولا يوجد هذا المحسوس كلا او بعضا

او يقال الملازمة قطعية على الاطلاق فلو تعدد الواجب لم يكن العالم ممكنا فضلا عن الوجود . والا لأمكن التمانع وهو يستلزم المحال . لان امكان التمانع لازم لمجموع امرين التعدد وامكان شئ من الاشياء فاذافرض التعدد يلزم ألا يمكن شئ من الاشياء

واعلم ان كلمة لو بحسب اللغة لانتفاء الثانى فى الزمان الماضى بسبب انتفاء الاول فينتفى الفساد فى الزمن الماضى بسبب انتفاء التعدد . وعلى ذلك يتم الغرض لان الحادث لا يكون ألها . ولكن قد تستعمل للاستدلال بانتفاء الجزاء على

انتفاء الشرط من غير دلالة على تعيين زمان كقولهم لو كان العالم قديما لكان غير متغير فيجوز ان تكون الآية من هذا القبيل بحسب جميع الازمنة

واعلم ان بعضهم يسلك مسلكا آخر فى الكلام على الوحدانية فيقول

هى عدم التعدد والتركب فى الذات . وعدم التعدد فى الصفات من جنس واحد سواء كانت له اوله ولغيره . وعدم تأثير غيره فى فعل

الله واحد لانه لو تعدد الاله فان اتحدت الحقيقة لزم اجتماع المثلين والمماثلة مستحيلة . وان لم تتحد فان كان هناك اشتراك فى شئ دون شئ لزم التركب المحال فانه يؤدى الى الامكان والفرض انه واجب فلزم الخلف . وان لم يكن هناك ذلك لزم الخلف ايضا كما هو ظاهر

﴿ صفات المعانى ﴾

هى فى علم الكلام عَلَم على السبع الآتية . وهذا العدد باستقراء العقل

وقبل العامية كانت الاضافة للبيان اى صفات هى المعانى وهى الموجودة خارجا باعتبار ذاتها فكل صفة كذلك تسمى صفة معنى .

فخرجت الصفات الغير الموجودة كالسلبيـة والمعنوية المنسوبة للمعانى . فان المعنوية تابعة للمعانى تبعية المعلول لعلته

وخرجت الاضافية كصفات الافعال عند الاشاعرة

صفات المعانى كلها قديمة وتسمى صفات الذات . وكذلك صفات السلب كلها قديمة

اما صفات الافعال فانها حادثة عند الاشاعرة لانها عندهم تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة . وقديمة عند الماتريدية لانها عندهم عين صفة التكوين

فالماتريدية يزيدون صفة التكوين على السبع . ويقولون

صفات المعاني ثمان. ويعرّفون صفة التكوين بأنها صفة قديمة قائمة بذاته تعالى بها الايجاد والاعدام

وتلك الصفة عندهم هي صفات الافعال لانهم يقولون ان تعلقت بالخلق سميت خلقا. وان تعلقت بالرزق سميت رزقا وهكذا

ويقولون القدرة وظيفتها جعل الممكن قابلا للوجود والعدم قبول استعداد وان كان قابلا لذلك قبولا ذوويا . وطريقة الماتريدية ضعيفة

واعلم انه لا يجوز ان يقال صفات الله حلت في ذاته. ولا ذاته محل صفاته . ولا صفاته معه ولا مجاورة له. ولا نحو ذلك وان صح المجاز لان ذلك من لوازم الحوادث

﴿ الاولى الحياة ﴾

هي صفة وجودية قديمة تصحح لموصوفها ان يتصف بالعلم والقدرة والارادة وغير ذلك

فهي لا تستلزم تلك الصفات بالفعل وانما تلك الصفات

واجبة لله بالبراهين اما الحادث فقد ينتفى فيه نحو العلم مع وجود الحياة

قام الدليل على ان الله هو الذى يمنح الوجود للحادث وما يتبع الوجود كالحياة . فلله الحياة الكاملة لانه مصدرها فيستحيل ان يكون فاقدها . وكيف يعقل ان فاقد الشىء يعطيه

الحياة كمال وجودى ويمكن اتصاف الله به . فهى واجبة له . لو لم تكن له هذه الصفة لكان فى الممكن ماهو أكمل وجودا منه

ولو انتفت الحياة ماوجد شىء من الحوادث

لو كان ميتا لم يكن قادرا ولا مريدا ولا عالما . وذلك محال بالبراهين . الله متصف بالقدرة والارادة والعلم بالبراهين القاطعة . وكل من كان كذلك فهو حى وجوبا

الحياة لا تتعلق بامر من الامور لا موجود ولا معدوم او يقال لا تتعلق بشىء . والشىء فى علم الكلام هو الموجود فالمعدوم من باب اولى

كذلك الوجود والصفات السلبية لاتتعلق بشئ . فلا يكون بها تخصيص الاشياء ولا ايجادها ولا كشفها ولا الدلالة عليها بخلاف الصفات الآتية

صفات المعانى منها مالا يتعلق وهو الحياة

ومنها مايتعلق تعلق تأثير وهو الارادة والقدرة . بناء على الراجح من ان التخصيص تأثير فى التميز لافى الوجود

ومنها مايتعلق تعلق انكشاف وهو العلم والسمع والبصر

ومنها مايتعلق تعلق دلالة وهو الكلام

﴿ الثانية العلم ﴾

وهو صفة وجودية قديمة متعلقة بكل واجب وجائز ومستحيل تعلق احاطة على ماالواجب والجائز والمستحيل عليه من غير سبق خفاء

فيعلم بعلمه ذاته وصفاته وان له علما ويعلم الممكن وانه ممكن ويعلم المستحيل كالشريك وأنه معدوم

فيستحيل عليه الجهل

العلم من الصفات التى تعد كمالا في الوجود . ويمكن ان يكون ذلك لله وكل ماهو كذلك فهو واجب له

العلم كمال فى الممكن وبعض الممكن عالم . فلو لم يكن الله عالما لكان بعض الممكن اكمل منه . وهو محال

الله مانح صفة العلم لبعض الممكن ولا يعقل ان يكون مصدره جاهلا

ان وضع الكائنات على هذا النظام الذى يأخذ بالعقول دليل كبير على ان الله عالم . لان ذلك يستحيل ان يكون عن جهل والا تطرق اليه الفساد والخلل

ولو لم يعلم الواجب والمستحيل لاحتاج الى من يكمله وهو المخصص فيكون حادثا وهو محال كما مر

لو انتفى العلم ثبت الجهل . ولو ثبت الجهل انتفت الارادة لانها لا تعقل الا بالعلم . ولو انتفت الارادة انتفت القدرة فيثبت العجز فلا يوجد العالم لكنه وجد

﴿ تعلق العلم ﴾

ليس للعلم الا تعلق تنجيزى قـديم فيعلم الاشياء ازلا اجمالا وتفصيلا ويعلم الكليات والجزئيات ويعلم مالا نهاية له كـكماله

وتوقف التفصيل على التناهى انمـا هو بحسب عقولنا

وليس للعلم تعلق صلوحى ، ولا تنجيزى حادث ، والا لزم الجهل لان الصالح لأن يعلم ليس بعـالم ، والتنجيزى الحادث يستلزم سبق الجهل

فيعلم الاشياء ازلا على ما هى عليه ويعلم انها وجدت او موجودة او توجد

فالمتغير هو صفة المعلوم لا تعلق العلم

﴿ الثالثة الارادة ﴾

وهى المشيئة بمعنى مطلق القصد فى اللغة

اما هنا فهى صفة وجودية قديمة بها يخصص الله الممكن

ببعض ما يجوز عليه

الوجود بدل العدم الصفة المخصوصة بدل سائر الصفات ۰ الزمان المخصوص بدل سائر الازمنة المكان المخصوص بدل سائر الامكنة ۰ الجهة المخصوصة بدل سائر الجهات ۰ المقدار المخصوص بدل سائر المقادير

هذه هى الست الممكنات المتقابلات

الارادة ليست حادثة ۰ وليست نفس الذات ۰ وليست قائمة وحدها ۰ وليست سلبية تفسر بعدم كون الفاعل ساهيا او مكرها لان الصفة السلبية لاقيام لها لانها امر عدمى ۰ وليست هى الامر ولا الرضا ولا نحو ذلك ۰ بل هى ما ذكرنا

الله مريد ويستحيل ان يكون غير مريد

لو انتفت الارادة ثبتت الكراهة اى عدم الارادة واذا ثبت ذلك انتفت القدرة لانها فرع الارادة فى التعقل ۰ واذا انتفت القدرة ثبت العجز ۰ ولو ثبت العجز ما وجد العالم وعدم وجوده باطل بالبداهة

الله صنع العالم اختيارا ومن هو كذلك تجب له الارادة

ثبت ان موجد الممكن هو الله . وثبت انه عالم. وثبت ان ما يوجد انما هو على مقتضى علمه فثبت انه مريد لانه فاعل على حسب علمه .

لو لم يكن مريداً لكان فعله عبثا والعبث نقص في المخلوق والتنزه عنه كمال فيه . ولا يليق بمعطي الكمال ان يكون ناقصا

﴿ تعلق الارادة ﴾

الارادة متعلقة بالممكن لا غير لانها لو تعلقت بالواجب لأثرت فيه الوجود وهو تحصيل الحاصل . او اثرت فيه العدم فيلزم قلب حقيقة الواجب لانه مالا يقبل العدم

ولو تعلقت بالمستحيل لأثرت فيه الوجود ولزم قلب حقيقته فانه مالا يقبل الوجود . او أثرت فيه العدم فيلزم تحصيل الحاصل

للارادة تعلق تنجيزي قديم وهو تخصيص الشيء ازلا

بالصفات التى يعلم الله انه يوجد عليها فى الخارج ٠ ولها تعلق صلوحى قديم وهو صلاحيتها ازلا لتخصيص الممكن بكل شئ مما جاز عليه وليس لها غير ذلك

اما التنجيزى الحادث فهو اظهار للتنجيزى القديم

الممكن قد يكون فيه خير وشر ٠ فارادة الله تتعلق بهما ٠ خلافا للمعتزلة القائلين انها لا تتعلق بالشر

فيجوز نسبة الشر اليه ٠ قال بعضهم انما يكون ذلك فى مقام التعليم ٠ كأن يقال خلق القردة والكلاب وسلط ابليس الى غير ذلك

قد يقال فى بعض العبارات الارادة صفة وجودية قائمة بالذات تخصص الممكن الخ فنسبة التخصيص اليها مجاز عقلى من الاسناد الى السبب لان المخصص هو الله سبحانه وتعالى

﴿ الرابعة القدرة ﴾

هى صفة وجودية قديمة لله يتأتى بها ايجاد كل ممكن واعدامه على وفق الارادة

والايجاد يشمل الاثبات لتدخل الاحوال على القول بها والاعتبارات

الله قادر ويستحيل ان يكون عاجزا

الله صانع قديم له مصنوع حادث وكل من كان كذلك فالقدرة واجبة له

لو انتفت القدرة ثبت ضـدها وهو العجز. ولو ثبت العجز لثبت عدم وجود الكائنات. وعدم وجودها باطل بالبداهة. كما مر

الذى يوجد الكائنات بحسب علمه وارادته قادر بالبداهة لان فعل العالم المريد فيما علم وأراد لا يكون الا بسلطة على الفعل. ولا معنى للقدرة الا هذه السلطة

﴿ تعلق القدرة ﴾

للقدرة تعلق صلوحى قديم وهو صـلاحيتها فى الازل للايجاد والاعدام فيما لا يزال . ولها بعد ذلك تعلقات القبضة وهى ثلاثة

فتتعلق بعدم الممكن فيما لا يزال قبل وجوده

وتتعلق باستمرار الوجود بعد العدم

وتتعلق باستمرار العدم بعد الوجود

فالممكن في قبضة القدرة ان شاء الله ابقاه على عدمه أو وجوده وان شاء أوجده او اعدمه

ولها التعلقات التنجيزية الحادثة وهى ثلاثة أيضا

فتتعلق بإيجاد الممكن بالفعل بعد العدم السابق

وتتعلق بأعدامه بالفعل بعد الوجود

وتتعلق بإيجاده بالفعل بعد البعث

هذه سبعة كما جرى عليه بعضهم نازع الاشعرى فى واحد منها فقال لا تتعلق باعدام الممكن بعد وجوده ٠ لان الله اذا اراد عدم الممكن قطع عنه الامدادات فينعدم بنفسه كالفتيلة اذا انقطع عنها الزيت فانها تنطفئ بنفسها

هـذا فللقدرة على الاجمال تعلقان صلوحى قديم ٠ وتنجيزى حادث

العدم الازلى لا تتعلق به القدرة لانه واجب

فالقدرة لا تتعلق بالواجب . وكذا المستحيل . لانها ان تعلقت بالواجب فلا يصح عدمه . لانه لا يقبل العدم ولا يصح وجوده لانه موجود . وايجاد الموجود تحصيل الحاصل . وان تعلقت بالمستحيل فهى على العكس من ذلك

فلا يقال يقدر ان يتخذ ولدا والا كان عاجزا . ولا يقال قادر على اخراج عبده من ملكه والا كان عاجزا . ولا يقال نحو ذلك

تعلق الارادة لكونه ازليا سابق على تعلق القدرة الحادث . فالترتيب بين التعلقين لا الصفتين لان القديم لا ترتيب فيه والا كان المتأخر حادثا

الله هو المؤثر فاذا اسند التأثير الى القدرة فذلك مجاز لانها سبب فيه

قال العلماء يحرم ان يقال القدرة فعالة ونحو ذلك لايهامه انها مؤثرة بنفسها . وقيل يكره ولا يحرم . فان كان هذا القول عن قصد كان كفرا

﴿ الخامسة الكلام ﴾

وهى اول الصفات السمعية التى نذكرها فى صفات المعانى . سميت سمعية لانها مسموعة عن الشارع فى جميع الشرائع

والعقل لا يهتدى اليها تمام الهدى الا بمعونة الشرع .
ومع ذلك يفهمها العاقل اذا حملت على ما يليق بالله تعالى ويذعن بها

اما الصفات المتقدمة فالمعول عليه فيها هو الدليل العقلى وقد ايدته الكتب السماوية

قال اهل السنة الكلام صفة وجودية قديمة لله منزهة عن الحرف والصوت ولو كان ذلك قديما والتقدم والتأخر والاعراب والبناء والسكوت النفسى المعروف والآفة كالعى والخرس .

كلامه تعالى صفة واحدة لا تعدد فيها بحسب الذات

الله متكلم ويستحيل عليه ضد الكلام

قال الله تعالى وكلم الله موسى تكليما . فأزال عنه الحجاب وأسمعه كلامه القديم

وما ابتدأ كلاما ثم سكت لانه متكلم ازلا وابداً

ولو لم يتصف بالكلام لاتصف بضده وهو نقص والنقص لا يرضى به المخلوق فكيف الخالق

جعل الله الكلام كمالا واعطاه لبعض خلقه كما يناسب ولا مانع ان يتصف به وان يكون كمالا فى حقه فوق كمال خلقه

يستحيل على الله البكم والخرس والعيّ ونحو ذلك لانه نقص فى المخلوق فكيف الخالق

﴿ تعلق الكلام ﴾

كلام الله يتعلق بالواجب والمستحيل والجائز تعلق دلالة فهو يدل على ذلك بكل ماهو عليه . ومن اراد الله افهامه فهّمه ان هذا واجب وهذا مستحيل وهذا جائز

كلام الله له اقسام بحسب الاعتبار . فمن حيث التعلق بطلب فعل الصلاة مثلا امر . ومن حيث التعلق بطلب ترك الزنا مثلا نهى . ومن حيث التعلق بان فرعون فعل كذا مثلا خبر . ومن حيث التعلق بان الطائع له الجنة مثلا وعد . ومن حيث التعلق بان العاصى يدخل النار مثلا وعيد . وهكذا

تعلق الكلام بالنسبة لغير الامر والنهى تعلق تنجيزى قديم . وبالنسبة للامر والنهى تعلق تنجيزى قديم ايضا ان لم يشترط فيهما وجود المأمور والمنهى

فان اشترط فيهما ذلك كان التعلق فيهما صلوحيا قبل وجود المأمور والمنهى . وكان تنجيزيا حادثا بعد وجودهما

كلام الله يطلق على الصفة القديمة التى الكلام فيها . ويطلق على الكلام اللفظى بمعنى انه خلقه وليس لاحد فى اصل تركيبه كسب . وعلى ذلك قالت عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها ما بين دفتى المصحف كلام الله تعالى وهذا الاطلاق من قبيل الاشتراك . وقيل حقيقة فى النفسى مجاز فى اللفظى

اللفظ الذى نقرؤه حادث لانا نتلوه بألسنتنا ونكيفه بأصواتنا فهو عند القراءة قائم بالحادث

قال بعض العلماء لا يقال ذلك الا فى مقام التعليم . لان القرآن كما يطلق على هذا اللفظ يطلق مجازا على الصفة فيوهم الحدوث المحال . واعلم ان هذا الاطلاق فى القرآن . وذلك

الاطلاق السابق فى الكلام

القرآن حادث ومدلوله قديم وهو الكلام النفسى

امتنع بعض الأئمة ان يقول القرآن مخلوق فرارا من ذلك الايهام ومبالغة فى الادب . ويجل مقام احمد بن حنبل واضرابه ان يعتقدوا قدم القرآن المقروء

﴿ السادسة والسابعة السمع والبصر ﴾

وهما الثانية والثالثة من الصفات السمعية

السمع صفة وجودية قديمة لله تعالى . والبصر كذلك . يحصل بكل منهما كشف مخصوص . انه هو السميع البصير

قام الدليل على ان الله منزه عن النقائص فاذا كان ضد السمع والبصر نقصا فهو منزه عنه . واذا كان السمع والبصر من الكمال فكل كمال ثابت لله

ان الله يكمل بعض المخلوقين بالسمع والبصر اللذين يليقان بهم . فيستحيل الا يكون كاملا . وهل الناقص يعطى الكمال

ونحو هذا كمال اجمالى والا فنحو الزوجة من كمال المخلوق

لأ الخالق . فالمنتج هو الدليل السمعى

﴿ تعلق السمع والبصر ﴾

قال فريق السنوسى السمع يتعلق بالموجودات الذوات والاصوات وغير ذلك وكذلك البصر لافرق بينهما

وقال فريق السعد السمع يتعلق بالمسموعات . والبصر بالمبصرات

ويجب اعتقاد ان الانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر . وكلاهما مغاير لانكشاف العلم . وان لكلٍّ حقيقة لا يعلمها الا الله . فليس الامر على مانعرف ونفهمه من الفرق بين هذه الصفات . لان جميع صفاته تآمة كاملة

تعلقات كل من السمع والبصر ثلاثة

تنجيزى قديم وهو التعلق بذات الله وصفاته

وصلوحى قديم وهو التعلق بالممكن قبل وجوده

وتنجيزى حادث وهو التعلق بالممكن بعد وجوده

ولكن المشهور انه ليس لهما تعلق صلوحى قديم لانهما
لا يتعلقان بالممكن المعدوم الذى سبق فى علم الله انه سيوجد
كما لا يتعلقان بالمستحيل ولا بالاكوان كالاجتماع والافتراق
والحركة والسكون لانها اعتبارات على الصحيح . والمشاهد
هو المتصف بها لا غير

والاولى تفويض الامر لله فى ذلك وعدم الفصل ـ ليس
كمثله شئ وهو السميع البصير

....

واعلم ان بعض المعتزلة يقول انه تعالى يتكلم بذاته و يسمع
بذاته ويبصر بذاته لا بصفات والا لزم تعدد القدماء

وقال اهل السنة التعدد فى الذات ممنوع لا فى الذات
مع الصفات

وصفات الذات ليست عين الذات لان الموصوف غير
الصفة . وليست غيرا منفكا عن الذات . فلا تثبت فى حال
وتنفى فى حال . ولا هى قائمة بنفسها . وانما هى ملازمة لها على
ما يليق بالله سبحانه وتعالى

فالذى يبطل التوحيد انما هو اعتقاد تعدد القدماء على التغاير والانفكاك

واعلم ان وجوب صفات المعانى ذووى للذات مثل وجوب الذات . فليست ممكنة لذاتها واجبة لغيرها بسبب اقتضاء الذات لها

اما الصفات السلبية فانها غير الذات بمعنى انها ليست قائمة بها . لانها امور عدمية وان كانت ثابتة له تعالى

وصفات الافعال كالاحياء والاماتة غير الذات ايضا بمعنى انها منفكة لانها عبارة عن تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة

والوجود اذا قلنا انه عين الموجود فليس بزائد على الذات حتى يمكن رؤيته كما قيل . فلا ينافى انه اعتبار

واعلم ان تعريفات الصفات التى تذكر فى هذا العلم كلها من قبيل الرسم لا من قبيل الحد الحقيقى لانه لا يعلم كنه ذاته وصفاته الا هو

سبحان ربك رب العزة عما يصفون • وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿ اسماء الله وصفاته واسماء النبي توقيفية ﴾

اختار جمهور اهل السنة ان اسماءه تعالى توقيفية • وكذا صفاته واما اسماء النبي صلى الله عليه وسلم فانها توقيفية بلا خلاف

والاسم مادل على الذات اما وحدها كلفظ الجلالة • واما مع الصفة كلفظ الرحمن

والصفة مادل على معنى زائد على الذات كأن دل على ذلك المعنى الزائد وحده كلفظ القدرة • فانه دل على المعنى القائم بذاته تعالى

فالصفة هنا اسم دل على امر ثابت للذات • وهو توقيفي • فلا يعبر عن القدرة بالجراءة مثلا لعدم وروده

وذهبت المعتزلة والقاضي ابو بكر الباقلاني الى جواز اثبات ما اتصف بمعناه ولم يوهم نقصا وان لم يرد به توقيف من

الشارع كالحاظل بمعنى المانع . يقولون ذلك مالم يرد منع من الشارع

فعلماء الاسلام اتفقوا على جواز اطلاق ماورد به اذن من الشارع سواء كان اسما او صفة . واتفقوا على المنع اذا ورد المنع منه

واختلفوا حيث لا اذن ولا منع . والراجح مذهب الجمهور وهو المنع حينئذ

قال علماء الكلام المأذون فيه هو ماورد فى الكتاب والسنة ولو حكما . ومنه المجمع عليه كالصانع والموجود والواجب

واما القياس فقيل كالاجماع مالم يكن ضعيفا . فيقاس الواهب اذا قلنا بعدم وروده على الوهاب الوارد

والراجح منع القياس حيث كان فيه ايهام مالا يجوز . كما فى قياس العارف على العالم . والسخى على الجواد . والعاقل على الحليم

اما ما اذن فيه الشارع فانه يستعمل وان اوهم شيئا

من ذلك الصبور فانه فى حقه تعالى من لا يعجل بعقوبة العاصى . وان كان الصبر فى حقنا حبس النفس على المشقة

ومنه الشكور فانه بالنسبة له تعالى المجازى على القليل

بالكثير من نعم الدنيا والآخرة . او المجازى على الشكر . او المثنى على المطيع . والشكر فى الاصل الثناء فى نظير الاحسان الواصل

ومنه الحليم فهو فى حقه تعالى راجع الى معنى الصبور . فلا يعجل بعقوبة المجرم . وان اوهم تحمل الاذى بحسب معناه فيما بين الناس

واما خبر من آذى مسلما فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله . فمعناه انه فعل معه فعل المؤذى

﴿ صفة الادراك ﴾

هى صفة قديمة قائمة بذات الله يدرك بها الملموسات والمشمومات والمذوقات من غير اتصال بمحالها التى هى الاجسام ولا تكيف بكيفيتها . وقيل يدرك بها كل موجود

وهى صفة واحدة عند بعض المتأخرين . وذهب كثير الى انها ثلاث صفات ادراك الملموسات وادراك المشمومات وادراك المذوقات

اعلم ان من اثبت الكلام والسمع والبصر بالدليل العقلي فقال انها صفات كمال والكمال واجب له تعالى اثبت هـذه الصفة . ومن اثبت الثلاثة بالسمع نفى هذه الصفة

هـذه الصفة اثبتها الباقلاني وامام الحرمين واتباعهما بالدليل العقلي المذكور وقالوا ان ضدها نقص مستحيل فوجب اتصافه بها كما يليق بجنابه فليس هنالك اتصال بمحالها ولا تكييف بكيفيتها لان هذا عادى والعادى ينفك

ونفى جماعة هذه الصفة قالوا لانه لو اتصف بها امكان الاتصال بمحالها والتكييف بكيفيتها لازما عقليا لا يتصور انفكاكه . وعلمه تعالى محيط بمتعلقاتها فيكفى عنها فليس في نفيها نقص . ولم يرد بها سماع

وتوقف جماعة عن اثباتها ونفيها لتعارض الادلة عندهم

واختار بعضهم القول الاخير لانه اصح وأسلم من القولين قبله وهو وجيه

واعلم انه كما اختلف في صفة الادراك اختلف في الكون مدركا . والترجيح تابع للترجيح

﴿ القضاء والقدر ﴾

القضاء عند الماتريدية ايجاد الله الاشياء مع زيادة الاحكام والاتقان فهو عندهم من صفات الافعال . وهى عندهم عين صفة التكوين القديمة كما تقدم . يقولون هى قائمة بذاته تعالى بها الايجاد والاعدام الخ ـ وان كان الراجح مذهب الاشاعرة من حيث عدم زيادة صفة التكوين على صفات المعانى ومن حيث ان المراد من صفات الافعال تعلقات القدرة التنجيزية وتلك التعلقات حادثة فصفات الافعال حادثة

والقدر عند الماتريدية تحديد الله ازلا كل مخلوق بحده الذى يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضر وغير ذلك . فهو راجع الى علمه تعالى ازلا بصفات المخلوقات والعلم من صفات الذات

يطلق القضاء فى اللغة على الحكم والصنع والحتم والبيان وغير ذلك

وأشهر معانيه الحكم وهو راجع للفعل فيناسب ماقاله الماتريدية في القضاء

ويطلق القدر في اللغة على القضاء والحكم وغير ذلك

قال بعض المتأخرين انه لم يرد في اللغة بمعنى الفعل فناسب تفسيره بالعلم

ومن هاهنا اختارت طائفة من المتكلمين طريقة الماتريدية في القضاء والقدر

اما القضاء عند الاشاعرة فهو ارادة الله الاشياء في الازل على ماهي عليه فيما لايزال فهوعندهم من صفات الذات وهي قديمة

والقدر عندهم ايجاد الله الاشياء على قدر مخصوص ووجه معين اراده الله فيرجع عندهم الى صفة الفعل

وبعضهم يقول القضاء هو الارادة مع التعلق الازلي والقدر هو الايجاد على وفق الارادة

او القضاء هو العلم مع التعلق الازلى والقدر الايجاد على وفق العلم

فالقضاء على القولين الاخيرين قديم والقدر حادث

والخلاصة ان القضاء والقدر يرجعان للعلم والارادة وتعلق القدرة . وانما صرحوا بهما على حدة لحصول الكلام فيهما كثيرا ولخطر الجهل فى هذا العلم فدليل العلم والارادة والقدرة دليلهما العقلى

ويجب الرضا بالقضاء والقدر فلا يعترض على الله فى قضائه وقدره بل يعتقد ان ذلك لحكمة وان كنا لا نعلمها . والوقوف عند ذلك هو كمال العالم

قال بعضهم ان الكفر والمعاصى لهما جهتان جهة كونهما مقضيين ومقدرين لله وجهة كونهما مكتسبين للعبد فيجب الرضا بهما من الجهة الاولى لا من الثانية

واعلم انه وان وجب الايمان بالقدر لا يجوز الاحتجاج

به قبل الوقوع توصلا اليه ولا يجوز الاحتجاج به بعد الوقوع تخلصا من نحو الحد والعقوبة

وأما الاحتجاج به بعد الوقوع لدفع اللوم فقط فلا بأس به وفى السنة مايؤيده

قال علماء الكلام الاسهل فى تعليم العامة الاعتماد على الدليل السمعى الوارد فى القضاء والقدر . كخبر كل شئ بقضاء وقدر وخبر على "لايؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة يشهد الااله الا الله وانى رسول الله بعثنى بالحق . ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره

واعلم ان هناك طائفتين قدريتين (الاولى) تنكر سبق علمه تعالى بالاشياء قبل وقوعها وتخوض فى القدر وتبالغ فى نفيه وذلك كفر وهؤلاء انقرضوا فى القرن الثانى (والثانية) تنسب أفعال العباد الى قدرهم وطريقتهم باطلة بدليل وحدانية الله فى الافعال وليس فيها كفر كالطريقة الاولى

﴿ فعل الله ﴾

يجوز لله ان يفعل الممكن وان يتركه فلا يجب ولا يستحيل
الله يخلق مايشاء ويختار . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

ان الله سبحانه وتعالى ثبت له العلم والارادة والقدرة .
وهذه تستلزم ثبوت الاختيار فى الفعل فانه لا معنى له
الا اصدار الأثر بالقدرة على مقتضى العلم والارادة . فليس
من افعاله ماهو بالعلية المحضة والاستلزام الوجودى بدون
علم ولا ارادة . وليس من مصلحة الكون مايلزمه مراعاته
لزوم تكليف . وانما كمال الكون تابع لكماله . وتعلقت بذلك
الارادة والعلم . فقعله لا يعلل بالغرض . ولا يصدر عن عبث
فيستحيل ان يخلو من حكمة

واذا عرفنا انه فاعل عن علم وارادة عرفنا انه لاشئ
من افعاله بواجب لذاته ولا مستحيل لذاته

قالوا ان المعتزلة تقول بوجوب الصلاح والاصلح عليه

تعالى واستحالة رؤيته تعالى . والبراهمة تقول باستحالة ارسال الرسل .

والمعتزلة بنوا الوجوب والاستحالة على الحسن الذووى والقبيح الذووى فيقولون يفعل هذا ولا بد للحسن الذووى الذى اشتمل عليه الفعل فلا يسوغ تركه بحسب الحكمة .

ولا يفعل ذلك لاشتماله على قبح ذووى

فالاول يوجبه العقل كالثواب والاصلح . والثانى يحيله العقل كترك الثواب والاصلح

وأهل السنة يقولون فعل الممكن وتركه جائز فى حقه تعالى

لانه لو وجب عليه شئ عقلا او استحال عقلا لانقلب الممكن واجبا او مستحيلا . ولا يقبل العقل ذلك ولا يحكم به . لان امكان الممكن صفة نفسية له وهى لا تقبل الزوال

بيان الملازمة ان وجوب الشئ او استحالته انما هو لما اشتمل عليه من الحسن او القبيح . واذا اشتمل الفعل على ذلك كان واجبا اى ذوويا او مستحيلا كذلك . والفرض انه

ممكن . فقد انقلب الممكن الى ماذ كر

اما الوجوب العرضى والاستحالة العرضية فلاضرر فيهما لانهما من المعقول

أو يقال لا فرق بين ما يجب له تعالى وما يجب عليه فى أن كلا واجب عقلى . فلو كان من الممكن ما هو واجب عليه لانقلب واجبا فتنقلب حقيقته الخ

﴿ الرزق الذى يسوقه الله ﴾

ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين

الرزق (بالكسر) هو الشيء المرزوق . وهو عند أهل السنة ماساقه الله الى الحيوان فانتفع به بالفعل . وهو نوعان (الاول) للبدن كالقوت (والثانى) للقلب كالعلم . وعلى الثانى قولهم (ذكاء المرء محسوب عليه)

فدخل فى التعريف ما انتفع به الانسان والدواب قوتا وغيره سواء كان حلالا او غيره . (وان العبد يقع فى المنهى عنه لسوء مباشرة اسبابه باختياره)

و يكفى فى كون الرزق حلالا أن يجهل اصله . فان أخذ الشئ على ظاهر الشرع اولى . ومن شدد شدد عليه لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم

....

قال القزوينى من قال أن الحلال ليس بموجود فقد طعن فى الشريعة وهو احمق وحصل له ذلك من جهله . فان الله لم يكلف الخلق عين الحلال فى علمه تعالى بل كلفهم أن يصيبوا الحلال فى اعتقادهم وظنهم

وفى خبر ابن مسعود ان تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب اه

فكل أحد يستوفى رزقه ولا يأكل احد رزق غيره . ولا يأكل غيره رزقه . ولا يتم ذلك الا اذا كان الانتفاع بالفعل كما ذكرنا

فامكان الانتفاع بدون الفعل خارج من التعريف

وقال فريق من المعتزلة يعتبر فى الرزق المملوكية انتفع به اولم ينتفع . ويلزم عليه أن الشخص ربما لا يستوفى رزقه

وانه قد يأكل رزق غيره ويأكل غيره رزقه

أما قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون المقتضى بظاهره انه لا يعتبر فى الرزق الانتفاع بالفعل فقال فيه أهل السنة . رزقناهم بمعنى اعطيناهم . فالرزق فيه بمعناه اللغوى

واعلم أن الجمهور يقولون ان التوكل على الله والاعتماد عليه لا ينافى الكسب فيثق الانسان بالله ويعتقد ان الامر منه واليه ويباشر تحصيل الرزق كما كان يفعله النبى صلى الله عليه وسلم . هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور

﴿ الاجل الذى يضر به الله ﴾

اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون

الميت ميت لاجله والمقتول ميت لأجله كغير المقتول

واهل السنة اذا نظروا الى تعلق علم الله بموته فى ذلك الوقت قطعوا بانه لو لم يقتل لمات بلا قتل

واذا قطعوا النظر عن تعلق علم الله بموته فى ذلك الوقت قالوا بعد قتله انه لو لم يقتل لجاز أن يموت وان يعيش . ولا يقطعون بواحد منهما

والكعبي من المعتزلة يقطع بعد قتلة بانه لو لم يقتل لعاش. وكذلك قال جمهور المعتزلة الا أن الكعبي يقول له أجلان . أجل على تقدير قتله واجل على تقدير موته . وهم يقولون له اجل واحد هو اجل موته . و يقولون أن القاتل قطع عليه ذلك الاجل .

وقال ابو الهذيل من المعتزلة بعد قتله تقطع بانه لو لم يقتل لمات بلا قتل . لانه لو لم يمت لزم التغير فى امر العلم . وهو محال ان ابا الهذيل نظر الى تعلق العلم بموته فى الوقت المخصوص . فالخلاف بينه و بين اهل السنة لفظى

(انبياء الله)

المحققون على ان كلا من النبي والرسول انسان بعثه الله لتبليغ ما أوحى اليه كما ياتى . فهما بمعنى واحد

وجرى جماعة على ان كلا منهما اوحى اليه بشرع فأن امر بالتبليغ فهو نبي ورسول . وانه لم يؤمر به فهو نبي لا غير وهو المشهور

وقال جماعة الرسول من له شريعة وكتاب . اومن نسخ بعض شريعة متقدمة ـ الى غير ذلك

ارسال الرسل جائز فى حق الله لا واجب ولا مستحيل وان كان فى ارسالهم حكمة ومصلحة

ارسال الرسل متمم لكون الانسان . وذلك اهم حاجات بقائه

ارسال الرسل صلاح المعاش والمعاد

العقول تتفاوت والتفويض اليها يؤدى الى القتال والخراب وهذا هو الفساد بعينه

العقل لا يستقل بادراك كل الامور

ان الذى يستقل به العقل يعضد بما جاء به الرسول كوجود الله وعلمه وقدرته

والذى يقصر عن ادراكه يبينه الرسول ٠ كرؤية الله وكالمعاد الجسمانى وقبح الصوم فى اول شوال مثلا وحسنه فى يوم عاشوراء مثلا

والذى يتردد فيه يرفع الرسول الاحتمال عنه كشكر المنعم قبل ورود الشرع

العقل لا يصل بنفسه الى الفعل المنجى فى الآخرة كما لا يصل الى تمييز الدواء النافع من الضار الا بالطبيب العارف

الحاجة الى الرسول كالحاجة الى الطبيب

الرسالة فى المرسل اليهم بمنزلة العقل من الشخص

الرسالة سفارة بين الله و بين عباده ليكشف عنهم عللهم فيما قصرت عنه عقولهم

« لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل »

تلك حكمة ارسال الرسل

اما حكمة وجود الانبياء الغير المرسلين فاقتداء الناس بهم من غير ان يقولوا لهم اقتدوا بنا ومجاوبتهم على ما يلقى اليهم من الاسئلة و بمثل هذا يحصل صلاح وكمال فى الكون

يقول البراهمة باستحالة ارسال الرسل لان العقل يغني عنهم . فارسالهم عبث لا يليق بالحكيم

ويقول الفلاسفة ان النبوة لازمة لحفظ نظام العالم . وذلك يؤدى الى صلاح النوع الانسانى عموما . فهى سبب الخير العام . والخير العام يستحيل تركه فى الحكمة والعناية الالهية

ويقولون ان النبوة مكتسبة وليست صادرة عن الله بالاختيار . وانكروا كونها بنزول الملك من السماء بالوحى . لاستحالة خرق الافلاك

ولكن اهل السنة يقولون انه يفعل مايشاء ويختار ، وهو على كل شئ قدير

والكلام فى الافلاك اوسع مما قالوا . فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون

النبوة من فضل الله فهى منحة شريفة يؤتيها الله من يشاء من عباده من غير كسب من العبد ولو فعل ا كل

العبادات وأصعبها على النفس

« يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا . وما يذكر الا اولو الالباب »

النبوة اختصاص العبد بسماع وحى من الله . يأتى الوحى بحكم شرعى تكليفى أمر بتبليغه اولم يؤمر . وكذلك الرسالة بشرط ان يؤمر بالتبليغ على المشهور . هذا قول جماعة اهل السنة

وقال الفلاسفة النبوة صفاء وتجل للنفس بسبب التجرد من الخلق الذميم . والتحلى بالخلق الكريم . وذلك هو المسمى عندهم برياضة النفس .

فالنبوة عندهم مكتسبة باسباب خاصة

قال علماء الكلام ان هذه المسألة اقوى ما كفر به الفلاسفة . لانه يلزم على اكتسابها جواز نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام او معه . فيلزم تكذيب القرآن والسنة . قال تعالى وخاتم النبيين . وفى الخبر لا نبي بعدى . والقرآن والحديث على ظاهرها عند المسلمين فى هذه المسألة

ولكن الفلاسفة لم يقولوا بذلك اللازم ولم يصرحوا به

الانبياء عباد الله واولهم آدم ارسله الله الى حواء وآخرهم محمد وهو افضلهم على الاطلاق عليهم الصلاة و السلام . ويليه ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نوح . وهؤلاء الخمسة هم اولو العزم اى الصبر وتحمل الاذى من اقوامهم . ثم بقية الرسل ثم الانبياء غير الرسل

قال تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض

وكان محمدا صلى الله عليه وسلم افضل الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام هو افضل المخلوقات جميعا

وفى الخبر انا اكرم الاولين والآخرين على الله ولا فخر . وذلك بتفضيل من الله سبحانه وتعالى وان كنا نعتقد انه امتاز بامور كثيرة

قال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك تحدثا بنعمة الله واخبارا

اما نحو قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلونى على

الانبياء ولا تفضلونى على يونس بن متى (ومتى اسم ابيه عند الحافظ بن حجر) • وقوله لا تخيرونى على موسى . فمحمول على التواضع او على تفضيل لا يؤدى الى تنقيص غيره من الانبياء • اوعلى انه قاله قبل علمه بأنه افضل . او على غير ذلك من التأويل المناسب

وافضل البشر بعد محمد صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على المرتضى

انا وجدنا اكثر السلف على ذلك قال اكثر العلماء لو لم يكن لهم دليل ما رتبوهم هذا الترتيب

وقال طائفة من العلماء ان الدلائل متعارضة فى هذه المسألة

وذهب بعضهم الى تفضيل علىّ على عثمان

وقال بعضهم تواتر فى على كرم الله وجهه مايدل على كثرة مناقبة ووفور فضائله واتصافه بكمالات غريبة واختصاصه بمزايا منها انفتاق لسانه بالحكمة الناصعة • وامتلاء فؤاده من العلم وغير ذلك

وهـذا الكلام يرمى الى غرض لايخفى على اللبيب . هذه افهام الناس . والله من ورائهم محيط

وخلافتهم بعـد النبي صلى الله عليه وسلم على الترتيب السابق . والخلافة بعـده ثلاثون سنة ثم بعدها ملك وامارة لخبر الخلافة بعـدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا . اى يصيب الرعية فيه عسف وظلم كأنهم يعضون فيه عضا . والعضوض من ابنية المبالغة

هذا الخبر يحتج به كثيرمن الناس ويذكرونه فى كتب التوحيد . ولكن قالت طائفة انه لم يصح

ولو صح الخبر فمعاوية ومن بعده ليسوا خلفاء . وانماهم ملوك وامراء

وقال بعض علماء الكلام الافضل بعد الانبياء الغير الرسل جبريل ثم ميكائيل ثم بقية رؤساء الملائكة ثم عوام البشر ثم عوام الملائكة . وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله

ويمتنع الهجوم فيما لم يرد فيه توقيف

عوام البشر هم كبراؤهم كأبي بكر وعمر رضى الله عنهما لا نحو الفساق فان الملائكة افضل منهم على الصحيح

فعوام البشر المذكورون افضل من عوام الملائكة الذين هم غير رؤسائهم

ولو قال قائل يلزم على ما ذكر تفضيل غير المعصوم على المعصوم فجوابه ان العصمة لا دخل لها فى التفضيل . وانما ينظر للاكثر ثوابا على العبادة

فعوام البشر اكثر ثوابا من عوام الملائكة . لان عوام البشر ينالهم مشقة فى العبادة وليس كذلك عوام الملائكة فانهم مفطورون على الطاعة . فلا تحصل لهم مشقة

....

الملائكة عباد الله . الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء . ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا

قال علماء الكلام انهم اجسام لطيفة نورانية تتشكل باشكال الخير شأنها الطاعة . ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة . ومن وصفهم بالذكورة فسق . ومن وصفهم بالانوثة كفر . لانه حينئذ يعارض قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا الخ . ومن قال انهم خناثى كان اولى بالكفر لمزيد التنقيص

وقال الشيخ الرئيس . الملك جوهر بسيط ذو حياة ونطق عقلى . وهو واسطة بين البارى عز وجل والاجسام الارضية . اه

ولا يعلم حقيقتهم الا الله فلا يجب علينا معرفتها ولا البحث فى حقيقتها لانها غيب وكذلك جميع ما غاب عنا

لو قيل ان ابليس لم يطع الله اذ امره بالسجود وكان من الملائكة بدليل صحة استثنائه منهم . والاصل فى الاستثناء الاتصال

فالجواب . كان من الجن ففسق عن أمر ربه . والامر

بالسجود كان لجماعة من الملائكة فيهم ابليس . واطلاق الملائكة على الجميع حينئذ سائغ عربية على سبيل المجاز

واعلم ان محمدا صلى الله عليه وسلم ارسل الى الملائكة ارسال تشريف على ما رجحه جماعة لان طاعتهم جبلية كما اشرنا اليه . وقيل ارسال تكليف . فكيف يتوهم ان جبريل افضل (حاش لله)

وقال بعضهم انه لم يرسل الى الملائكة . وحكى بعضهم ان هنالك اجماعا على ذلك

وحكى بعضهم انه أرسل الى الحيوانات والجمادات ارسال تشريف

ومن تدبر في آيات الكتاب . اهتدى الى الحق والصواب

اما ارساله الى الانس والجن ارسال تكليف فبالاجماع

الجن عباد الله المقابلون للانس اثبتهم القرآن بالامرية في نحو والجان خلقناه من قبل من نار السموم ونحو سورة الجن

قال الشيخ الرئيس الجان حيوان هوائي ناطق شاف

الجرم من شأنه ان يتشكل بأشكال مختلفة اه لكنهم يقابلون الملائكة فى التشكل

قال بعضهم الفرق بين الجن والملائكة وان اشتركوا فى الروحانية ان الجن يتغذون والملائكة لا يتغذون . ان الحكم على الغائب لا تطمئن له النفس فلا يعلم حقيقة الجن الا الله كما قلنا ذلك فى الملائكة فيجب الايمان بهما ولهما نظير كالهواء والاثير . ولا يجب معرفة حقيقتهما لانهما غيب ونحن نؤمن به

يلزم المكلف التصديق بان لله رسلا وانبياء على وجه الاجمال الا خمسة وعشرين فعلى التفصيل . منهم ثمانية عشر فى آية وتلك حجتنا . وهم

ابراهيم . اسحاق . يعقوب . نوح . داود . سليمان . أيوب
يوسف . موسى . هارون . زكريا . يحيي . عيسى . الياس
اسماعيل . اليسع . يونس . لوط

والسبعة الباقية . آدم . ادريس . صالح . شعيب . هود . ذو الكفل . محمد عليهم الصلاة والسلام

فاذا عرض أحدهم على المكلف وجب الاعتراف به

ولا يجب حفظ اسمائهم

فمن انكر نبوة واحد من المتفق على نبوته او رسالته

كفر الا اذا كان عاميا

وممن اختلف فى نبوته ذو القرنين . والعزير . واقمان

والراجح الامساك عن الخوض فى عدد الجميع . قال

تعالى (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك)

وقيل الرسل « ٣١٣ » والانبياء « ١٢٤٠٠٠ » وقيل

غير ذلك

ومنشأ هذا روايات مختلفة عن النبي صلى الله عليه وسلم

كما قاله جماعة

ويكفى الايمان الاجمالى بغالب الملائكة

والذى يجب معرفته تفصيلا جبريل . وميكائيل .

واسرافيل . وعزرائيل . ورضوان . ومالك . ورقيب . وعتيد

فيكفر منكر احدهم دون غيره . هكذا قالوا

﴿ شروط النبوة ﴾

(الاول) ان يكون النبي ذكرا كما عليه أهل السنة والجماعة لآية وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم . ولان النبوة تقتضى الاشتهار بالدعوة واظهار المعجزة ولزوم الاقتداء . والانوثة توجب الستر وفيها نقص بحسب شأنها وطبعها

وقال الاشعرى لاتشترط الذكورة لان الله ذكر مريم فى عداد الانبياء فقال واذكر فى الكتاب مريم الآية . وقال فارسلنا اليها روحنا . وقال انما أنا رسول ربك

حكم الاشعرى بنبوتها . وبذلك قال فريق من أهل الظاهر والحديث . وقالوا يفرق بين الرسول والنبي بالدعوة وعدمها كما هى الطريقة المشهورة

(الثانى) — ان يكون اكمل اهل زمانه ممن ليس نبيا فى العقل والفطنة وقوة الرأى وفى الخلقة حال الارسال . لانه يسوس امته ويرجعون اليه فى المشكلات

واما العقدة التى كانت فى لسان موسى فقد ازيلت بدعوته عند الارسال اذ قال (واحلل عقدة من لسانى يفقهوا

قولي) فقال الله (قد أوتيت سؤلك ياموسى)

(الثالث)ـ السلامة من دناءة الآباء والطعن على الامهات ومن دناءة الصناعة كالحجامة وقلة المروءة كالاكل على الطريق ونحوه . لانه نقص . والنبوة اشرف مناصب الخلق

(الرابع) ـ العصمة وهى تخصيص القدرة بالطاعة فلا . يخلق لمن وصف بها قدرة المعصية . فلا يعصى الله فى صغيرة ولا كبيرة قبل النبوة وبعدها لاعمدا ولا سهوا

وصحح بعضهم جواز السهو فى الفعل لحديث فى ذلك

والذى يكون قبل النبوة انما هو صورة معصية فى الغالب . والواقع سهوا بعد النبوة صورة معصية أيضا . وصورة المعصية قبيحة لا تليق

ومن ذا الذى يعلم ان هذه صورة الشيء لا حقيقته . ولو سلمنا ان بعض الناس يعلم ان هذه صورة فغالب الناس والسواد الاعظم لا يعلم ذلك لان لهم ظاهر الامر . فارجاعهم الى تنزيه الرسول عما لا يليق بعصمته فيه عناء كبير وضياع وقت نفيس

قال بعض العلماء اذا ورد شيء يوهم ان الرسول اوالنبي اقترف ذلك وجب تأويله اورده • لوجوب العصمة المطلقة

في بدء الخلق من البخارى عن ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم عليه الصلاة والسلام الا ثلاث كَذَبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله انى سقيم • وقوله بل فعله كبيرهم هذا • وقال بينا هو ذات يوم وسارّة اذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له ان هاهنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فارسل اليه فسأله عنها قال من هذه قال أختى الخ •

قال كثير من العلماء الخبر صحيح والكذب لمصلحة جائز بل هو فى هذه الحالة غير كذب الى غير ذلك من التأويل •

وقال الفخر الرازى هو كذب صورة وذلك لا يليق ألبتة • والطعن فى عدالة راوى الحديث اولى من الطعن فى عصمة ابراهيم الثابتة بالكتاب والسنة

ويعلم من الكتاب والسنة ان داود كان كثير الرجوع الى الله ويؤخذ من آية تسور المحراب انه كان اذ ذاك لم يترك الباب مفتوحا للناس مع انه رسول بل اغلقه لينقطع للعبادة حينئذ فتسور الخصمان المحراب لشدة الحاجة فتيقظ وتنبه بالتسور الى ان الاليق فتح الباب

هذه هى الفتنة التى ذكرها الله كما يفيده السياق لا ما افتراه الناس عليه

هذا وما بعث الله الا من كان تقيا زكيا أمينا مشهور النسب حسن التربية . كل ذلك ثابت بالسمع عن الشارع كما ثبتت العصمة بالعقل ايضا . ويدخل فى العصمة الصدق والامانة والتبليغ . ولنشرح ذلك على طريقة بعض المتأخرين فنقول

يجب فى حق الرسل ثلاثة اشياء الصدق والامانة والتبليغ . ويستحيل فى حقهم الكذب والخيانة والكتمان

برهان الصدق انهم لو لم يصدقوا لزم الكذب فى خبره تعالى التنزيلى فان تأييد الله لهم بالمعجزة بمنزلة اخباره بانهم صادقون . والكذب نقص . والنقص عليه تعالى محال .

ويلزم من ذلك ثبوت الامانة والتبليغ . لانهم أخبروا انهم مبلغون وانهم معصومون . فلو كانوا خائنين او كانوا كاتمين ماصدق خبرهم . ولو لم يصدق خبرهم لزم الكذب ف خبر الله التنزيلى وكذبه محال . فما ادى اليه من عدم صدق خبرهم محال . فما ادى اليه من الكتمان او الخيانة محال

فالمعجزة دليل للثلاثة الواجبة فى حق الرسل

واعلم ان المعجزة هى الامر الخارق للعادة يقصد به بيان صدق مدعى الرسالة وطهارة سريرته . اما الحاصل قبل الرسالة فأنه ارهاص وتاسيس لها. القرآن ذكر كثيرا من المعجزات

وجه دلالتها على الصدق انها لما كانت مما تعجز عنه الخلق كانت من فعل الله لا غير . وجعلها شاهدة على الصدق وانهم لا يعارضون فيه يسمى بالتحدى

والتحدى فى الاصل طلب المباراة فى الحداء بالابل

ثم توسع فيه فاطلق على طلب المعارضه بالمثل فى أى أمر كان

فاذا ادعى النبي النبوة وجعل المعجزة بينـة صدقه كأن قال آية صدق ان الله يوجد كذا مما تعجزون عنه فاوجده موافقا لقوله كان ذلك تصديقا له من الله

كما اذا قام انسان بين يدى ملك وبحضرة الملك أقبل على قوم وادعى انه رسول للملك اليهم وقال للملك ان كنت صادقا فيما نقلت عنك فقم على سريرك على خلاف عادتك ففعل

لا شك انه يحصل بذلك للحاضرين علم قطعى بانه صدقه وكان ذلك الفعل بمنزلة قول الملك له صدقت

قال بعضهم ان دلالة المعجزة على الصدق وضعية لتنزيلها منزلة الكلام ودلالاته وضعية . وقيل دلالتها عقلية لتنزهه تعالى عن تصديق الكاذب . ورجح بعضهم انها عادية لأنها بقرائن عادية ولكنها مقطوع بها .

ومدلول المعجزة الاخبار عن صدق الرسل فيلزم على عدم الصدق الكذب في خبره تعالى وهو محال

لا واسطة بين الكذب والصدق خلافا للمعتزلة في قولهم بالواسطة وهي ما وافق الواقع وخالف الاعتقاد فانه لا صدق ولا كذب

اما الصدق فهو مطابقة الخبر للواقع والكذب عدم مطابقة الخبر للواقع

الصدق هنا ثلاثة اقسام صدق في دعوى الرسالة وصدق في الاحكام التي يبلغونها وصدق في أمور الدنيا

فاذا خطرت امور الدنيا ببالهم فلابد من علمهم بها وان اجتهدوا فيها اصابوا بناء على الراجح ان لهم الاجتهاد مطلقا او بعد انتظار الوحي لأنهم لا يعلمون الغيب الا اذا أعلمهم الله

ان غير الصدق في غير البلاغ نقص ينفر الناس عنهم وهو لا يليق بمنصب النبوة

وقال بعضهم ان المعجزة دالة على صدقهم في الامور المتعلقة بالدنيا وليست من أمور البلاغ

الصدق في ذاته يتضمن انهم لايكذبون سهوا والامانة
لاتتضمن ذلك

الصدق يتضمن انهم لايزيدون في التبليغ عمدا أوسهوا
والتبليغ لايتضمن ذلك

الامانة تتضمن عدم المخالفة في غير الكذب والصدق
لايتضمن ذلك

الامانة تتضمن عدم المخالفة في غير التبليغ والتبليغ
لايتضمن ذلك

التبليغ يتضمن انهم لايتركون شيئا عمدا اوسهوا وانهم
صادقون في ذلك والصدق لايتضمن ذلك

التبليغ يتضمن انهم لايتركون شيئا نسيانا والامانة
لاتتضمن ذلك

واعلم ان الامانة هي عدم الخيانة بمنهي عنه مطلقا. اوهي
حفظ الله ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه
او هي ملكة راسخة في النفس تمنع صاحبها من

ارتكاب المنهيات

وعلى كل هى راجعة الى العصمة . ولا يرد انه صلى الله عليه وسلم بال قائما ولا انه توضأ مرة مرة ولا مرتين مرتين ولا نحو ذلك . لانه للتشريع وبيان الجواز وذلك واجب فى حقه

بل قال بعضهم لا يقع منهم مباح الا على وجه القربة اما تشريعا او تقويا على العبادة او نحو ذلك

فافعالهم دائرة بين الواجب والمندوب

ومما دلل به هنا على الامانة انهم لو خانوا بمنهى عنه لانقلب المنهى عنه طاعة فى حقنا لاننا مأمورون باتباعهم ولا يأمر الله الا بطاعة . وانقلاب المعصية طاعة محال

نحن مأمورون باتباعهم فى القول والفعل والتقرير والسكوت كما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع الا ما كان من خصوصياتهم والا الامور الجبلّية كالقيام والقعود والمشى . قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله

قال بعضهم ان تبليغ ما امروا بتبليغه للخلق واجب فيستحيل فى حقهم الكتمان ولو سهوا وان جاز عليهم فى غير مايبلغونه . والدليل على ذلك دليل الامانة الماضى

وقال بعضهم دليل الامانة والتبليغ شرعى

﴿ الجائز فى حق الرسل ﴾

تجوز فى حقهم الاعراض البشرية التى لاتنقص شرف منصبهم . كما ثبت ذلك بمشاهدة من عاصرهم ووصل الينا بنحو التواتر

فهم عباد الله الذين لاتجوز عليهم صفات الالوهية بحال من الاحوال ولا صفات الملائكة

وزعم طائفة من العرب انه لابد من اتصافهم بها فلا يأكلون ولا يشربون وتوسلوا بذلك الى نفى رسالته صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام الآية

الرسول يأكل ويشرب وينام بعينه لا بقلبه لخبر تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا

يجوز في حق الرسول ان يغمى عليه وأن يمرض وان يجوع ويعطش لان ذلك ليس نقصا وانما هو من مقتضيات الجبلة البشرية

لايجوز في حق الرسل مايؤدى الى نقص كالرق والحرفة الدنيئة وقلة المروءة والاكل في الطريق وعدم كمال العقل والذكاء والفطنة وقوة الرأى وكدناءة الآباء والامهات والغلظة والفظاظة ولا يجوز السكر والخبل والجنون والجذام والبرص والعمى

ولم يثبت ان شعيبا كان ضريرا وما كان بيعقوب فهو حجاب من الدمع ذهب بمجيء البشير . وبلاء ايوب كان بين الجلد والعظم فلم يكن ذلك منفرا . والضار انما هو المنفر فيستحيل كل منفر وكل مخل بحكمة بعثتهم

ويمتنع النسيان فى البلاغيات قبل تبليغها ، اما بعد التبليغ فيجوز ان الله ينسيهم ذلك . ويستحيل النسيان من جهة الشيطان

اما قول يوشع وما انسانيه إلا الشيطان فقال العلماء انه كان قبل النبوة وقيل كان تواضعا

وسهو النبي صلى الله عليه وسلم فى الصلاة كان للتشريع

﴿ كلمة التوحيد ﴾

هى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله

النفى متوجه الى المعبود بحق فى الواقع فانتفى الا الله . ولا يحصل الرد على الكفار الا باعتبار الواقع

ويصح فى غير ذلك ان يتوجه النفى الى ما فى ذهن المؤمن لانه يتصور أفراد المعبود بحق على سبيل الفرض والتقدير ثم يحكم عليها بالنفى الا الله

ولا يصح توجه النفى الى ما فى ذهن الكافر لان ما فى ذهنه من الاصنام مثلا ثابت لا يصح نفيه

يجب على الناطق بها ان يلاحظ توجه النفى الى جميع افراد الاله غير المستثنى لانه لو جعله شاملا للمستثنى كفر . وقوله الا الله قرينة على ما أراده فى الاول . فهى من عموم السلب اى السلب الذى يعم جميع افراد الاله الا المستثنى

اما قولهم ان اداة السلب اذا تقدمت على اداة العموم كان الكلام من سلب العموم فهو جرى على الغالب . نحو لم آخذ كل الدراهم . فلا يصح ان تكون من سلب العموم على القاعدة لانها لا تفيد التوحيد حينئذ . وان افادته بحملها على انها سلبت عموم الالوهية لغير المستثنى وقصرتها على المستثنى فان تلك الافادة ليست من جوهر الكلمة

وفى كلام بعضهم ان لا اله الا الله قضية سالبة كلية من باب عموم السلب لجميع افراد الاله غير الله المستثنى استثناء متصلا فان المستثنى داخل فى المستثنى منه بمقتضى الوضع . فانه مجعول لما يعم المستثنى وغيره وان خرج منه بحسب الارادة . فان الآتى بهذه الجملة اراد خروج الله من الآلهة المنفية بقرينة

الاستثناء ـ فهو من العام الذى اريد به الخصوص . فلا يلزم الآتى بهذه العبارة الكفر ثم الايمان

قال علماء العربية لو قال لزيد علىّ عشرة الا واحدا فقد اراد بعشرة تسعة مجازا بقرينة الا واحداً لئلا يلزم التناقض

وفى الجملة قصر الصفة على الموصوف قصر افراد لانها للرد على معتقدى الشركة

واسم لا هو اله بمعنى المعبود بحق فى نفس الامر وخبرها محذوف تقديره موجود او ممكن بالامكان العام

والاقتصار على الوجود فى الاول لانه محل النزاع بين الموحدين والمشركين وليس ذلك لجواز اله غيره تعالى

والله مرفوع على البدل من ضمير الخبر ولا يضر تخالف البدل والمبدل منه اثباتا ونفيا

او مرفوع على البدل من اله باعتبار محله قبل دخول الناسخ بناء على انه لا يشترط فى مراعاة المحل بقاء الطالب له كالابتداء وهو مذهب جماعة من النحاة

او هو منصوب على الاستثناء من ضمير الخبر .

ولا يجوز نصبه على البدل من اسم لا لئلا يلزم عمل لا في المعرفة ـ لا فرق بين كون العامل في البدل هو العامل في المبدل منه . وكون العامل فيه مثله المقدر كما هو الراجح

اختار بعض العلماء مد كلمة (لا) اشعارا بنفي الالوهية عن كل موجود سواه

واختار بعضهم قصرها لئلا تخترمه المنية قبل التلفظ بها

وقال بعضهم ان كانت اول مرة قصرها . والا مدّها

قال علماء الكلام لا بد من فهم معنى كلمـة التوحيد ولو اجمالا والا فلا فائدة

كلمة الشهادة جعلها الشارع ترجمة عما في القلب من الايمان ولم يقبل الايمان من احد الا بها

كلمة الشهادة تشير الى جميع العقائد المطلوبة

شطرها الاول ينفي الالوهية عن سواه تعالى ويثبتها له

تعالى والاله هو المعبود بحق ويلزم منه انه مستغن عما سواه ، وان غيره محتاج اليه

فالمعنى الحقيق لامعبود بحق فى الواقع الا الله

والمعنى اللازم لامستغنيا عما سواه ومفتقرا اليه ماعداه الا الله

الاستغناء المذكور يستلزم وجوب قدمه وبقائه ومخالفته للحوادث وقيامه بنفسه ويستلزم كلامه وسمعه وبصره ، ويستلزم نفى وجوب فعل شئ أو تركه من الممكن

واما الافتقار المذكور فيستلزم الحياة والارادة والعلم والقدرة ويستلزم الوحدانية

فشطرها الاول يستلزم ما يجب وما يستحيل وما يجوز فى حق الله . ففيه أحكام الحكم العقلى الثلاثة الراجعة لله تعالى

واما شطرها الثانى ففيه الاقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، ويلزم منه تصديقه فى كل ما جاء به

ويندرج فيه وجوب صدق الرسل وأمانتهم وتبليغهم

واستحالة الكذب فى حقهم والخيانة والكتمان . ويندرج فيه أيضا جواز الاعراض البشرية التى لا تؤدى الى نقص فى حقهم عليهم الصلاة والسلام

ففى الشطر الثانى من كلمة التوحيد أقسام الحكم العقلى الثلاثة الراجعة للرسل عليهم الصلاة والسلام

﴿ الايمان ﴾

هو لغة التصديق . وشرعا التصديق بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم وعلم من ادلة الدين . وذلك نظرى ثم اشتهر حتى الحق بالضرورى

ومعنى التصديق الاذعان والقبول

وأما وقوع نسبة الصدق فى القلب بلا اذعان وقبول فلا يسمى تصديقا لان كثيراً من الكفار عرف حقيقة النبوّة والرسالة ولم يذعن ويقبل

المؤمن اذا نام أو غفل أو جن او اغمى عليه أو مات فهو متصف جزما بالايمان ومحكوم عليه به

واعلم ان النطق بالشهادتين شرط فى اجراء احكام المؤمنين فهو خارج عن ماهية الايمان

وعلى ذلك المحققون من الاشاعرة والماتريدية والجمهور وهو الراجح . والنطق بهما علامة دالة على التصديق القلبي . فلا بد من تلك العلامة عند القدرة . والاخرس قادر بالاشارة

اما المعذور فان دلت قرينة على اسلامه بنحو اشارة فهو مؤمن عند الله وعندنا

واما الآبي الذى طلب منه النطق فامتنع فهو كافر عند الله وعندنا . حتى لو اذعن فى قلبه مع الامتناع ظاهرا . ولا ينفعه ذلك فى الآخرة

والمنافق الذى أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه مؤمن عندنا فقط

ومن اخترمته المنية قبل النطق من غير تراخ مؤمن عند الله

بعض العلماء يقول لابد من لفظ أشهد وتكريره ولا يشترط العطف . وتكفى اللغة الاعجمية مع احسان العربية

وبعضهم يقول يكفي ما يدل على الايمان كالله واحد ومحمد رسوله

واذا كان يعتقد ان محمدا رسول للعرب خاصة فلا بد من الاعتراف برسالته الى غير العرب أيضا حتى يكون مؤمنا حقا . فان الرسالة لغير العرب موضع النزاع بيننا وبينه وهكذا جميع مواضع النزاع

وقال ابو حنيفة وجماعة من الاشاعرة الاقرار بالكلمتين شطر . فالايمان اسم لعملي القلب واللسان جميعا . وهما التصديق والاقرار

أما العمل فهو شرط كمال على المختار عند اهل السنة .

فمن تركه فقد ترك الكمال فقط لا الايمان ما لم يستحل أو يعاند أو يشك في المشروعية والا فهو كافر

وبعض المعتزلة يقول العمل شطر من الايمان لان الايمان هو العمل والنطق والاعتقاد . فمن ترك العمل فليس بمؤمن ولا كافر لوجود التصديق . ويخلد في النار ويعذب

أقل من عذاب الكافر

أما الخوارج فانهم يكفرون مرتكب الكبيرة خلافا لعامة المسلمين

أولاد المسلمين مؤمنون قطعا ولا نزاع فيهم، وتجرى عليهم الاحكام ولو لم ينطقوا بالشهادتين طول العمر

أما الكافر الاصلى الذى يريد الدخول فى الاسلام فهو محل الخلاف فى كون الجملتين شرطا أوشطراً

....

الايمان مخلوق ولو باعتبار الهداية لانها حادثة. أما باعتبار القضاء الازلى فقديم

جمهور الاشاعرة على أن الايمان يزيد وينقص باعتبار الطاعة وعدمها اذا نظر لشأنه ، والا فقد يزيده الله و ينقصه بمحض اختياره

ايمان الانبياء يزيد ولا ينقص ، يشير الى ذلك قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام ـ ولكن ليطمئن قلبي

ايمان الملائكة لا يزيد ولا ينقص لانه فطرى .
وقيل كالانبياء

(الاسلام)

هو لغة الانقياد . وشرعا الانقياد لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم . ومن ذلك النطق بالشهادتين

فالايمان والاسلام متباينان لغة . واما شرعا فهما متغايران فى المفهوم اى المعنى وفى الماصدق اى الافراد . وان تلازم المفهومان شرعا بمعنى أنه لا يعتد بأحدهما الا اذا وجد معه الآخر . فانه يلزم من الانقياد الظاهرى التصديق الباطنى لتوقف صحة الاعمال عليه لانه جعل شرطا . ويلزم من التصديق الباطنى الانقياد الظاهرى لاشتراط النطق بالشهادتين من القادر المتمكن

وهذا لان الكلام فى الايمان والاسلام النافعين

وما صدقات الايمان تصديقات باطنية . وما صدقات الاسلام انقيادات ظاهرية

وعلى ما تقدم لا يوجد مؤمن ليس بمسلم ولا مسلم ليس بمؤمن

ومن صدق بقلبه واخترمته المنية مؤمن عند الله . وكذلك هو مسلم بمعنى أن الله يعامله كالمسلمين لا انه وقع منه اسلام . أما عندنا فليس بمؤمن ولا مسلم

فاذا كان الكلام فى غير المنافقين فلا تلازم فيما ذكر بل يكون بينهما العموم والخصوص الوجهى . يجتمعان فيمن صدق بقلبه وانقاد بظاهره وينفرد الايمان فيمن صدق بقلبه فقط . والاسلام فيمن انقاد بظاهره فقط

هذا كلام جمهور الاشاعرة - وقال الماتريدية وطائفة من الاشاعرة انهما شرعا متحدان فى المفهوم . فالاسلام عندهم هو الاذعان الباطنى . والنطق دليلهما . والعمل كمالهما

ولكن قال بعضهم ان أصحاب القول الثانى يفسرون الاتحاد فى المفهوم تساهلا بالاتحاد فى الشخص الذى يوجدان فيه . وهذا التفسير يسامه أصحاب القول الاول. فالخلاف لفظى ما لا

الاسلام وصف مشترك بين أمتنا والامم السابقة لظاهر نحو قوله تعالى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا الخ قيل أن هذه الآية تدل على أن حقيقة الاسلام والايمان واحدة . لان الاصل فى الاستثناء الاتصال

من كمال الايمان والاسلام معرفة نسب النبي صلى الله عليه وسلم . فيجب ذلك كما قاله بعض علماء الكلام

أما نسبه من جهة أمه فهو ابن آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فتجتمع معه فى جده هذا

وأما نسبه من جهة أبيه فأنه ينتهى الى اسماعيل عليه الصلاة والسلام . وكانت آباؤه امراء الحجاز بعد ملوك قضاعة ولنذكرهم مع تاريخ توليهم الامارة على الترتيب فنقول

١ ـ عبد الله والد النبي تولى سنة ٥٣٨ بعد ميلاد المسيح

٢ ـ عبد المطلب	٥٠٥	«
٣ ـ هاشم	٤٧٢	«
٤ ـ عبد مناف	٤٣٩	«
٥ ـ قصى	٤٠٦	«

٦ ــ كلاب	٣٧٣	بعد الميلاد
٧ ــ مرة	٣٤٠	»
٨ ــ كعب	٣٠٧	»
٩ ــ لؤى	٢٧٤	»
١٠ ــ غالب	٢٤١	»
١١ ــ فهر وهو قريش	٢٠٨	»
١٢ ــ مالك	١٧٥	»
١٣ ــ النضر	١٤٢	»
١٤ ــ كنانة	١٠٩	»
١٥ ــ خزيمة	٠٧٦	»
١٦ ــ مدركة	٠٤٣	»
١٧ ــ الياس	٠١٠	»
١٨ ــ مضر	٢٣	قبل الميلاد
١٩ ــ نزار	٥٦	»
٢٠ ــ معد	٨٩	»
٢١ ــ عدنان	١٢٢	»

ورفع نسبه الى من بعد عدنان أمسك عنه الشارع كما فى الحديث فما يوجد فى بعض الانساب الى آدم لا يعول عليه

ولد النبى صلى الله عليه وسلم بمكة سنة ٨٩٢ للاسكندر وهى سنة ٥٧١ بعد الميلاد . وكان ذلك ليلة الاثنين قبيل الفجر لعشرين (٢٠) ابريل ولاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول على المشهور من عام الفيل. وقيل لتاسع ربيع الاول

وكانت ولادته فى السنة الاربعين من حكم الملك العادل كسرى انو شِرْوان ملك فارس

ولما كان له من العمر سنتان تقريبا مات أبوه عبد الله فمكث مع امه آمنة ٦ سنين . فلما ماتت ضمه اليه جده عبد المطلب . ولما كمل له من العمر ٢٥ سنة تاجر بمال خديجة الى الشام . ثم تزوجها وعمرها يومئذ ٤٠ سنة واقامت معه ٢٢ سنة ثم ماتت بمكة ولم يتزوج غيرها حتى توفيت

ولما تم له أربعون سنة اظهر الدعوة

ولما ماتت خديجة وعمه ابو طالب آذته قريش فهاجر

الى المدينة

وفى السنة الاولى من الهجرة انتصر على أهل مكة .

وفى الثانية غزا بدراً ومعه ٣١٣ رجلا من المسلمين فهزم ١٠٠٠ من اهل مكة المشركين . وكانت البطشة الكبرى

وفى هذه السنة صرفت القبلة عن جهة المسجد الاقصى الى جهة المسجد الحرام

وفيها فرض صوم رمضان

وفى الثالثة غزا أحدا وشُجّ فى وجهه وكسرت رباعيته وانهزم المسلمون

وفى الرابعة غزا بنى النضير اليهود وأجلاهم الى الشام

وفيها اجتمع احزاب شتى من قبائل العرب وساروا مع أهل مكة الى المدينة فامر بحفر الخندق وانهزمت هاتيك الاحزاب على كثرة عددهم وعددهم

وفى الخامسة كانت غزوة دومة الجندل وغزوة بنى لحيان

وفى السادسة غزا بنى المصطلق

وفى السابعة غزا خيبر

وفى الثامنة كانت غزوة فتح مكة وعهد الى المسلمين الا يقتلوا فيها الا من قاتلهم وأمّن كثيرا من الناس

وفى التاسعة غزا تبوك من بلاد الروم ولكنه لم يحتج فيها الى حرب

وفى العاشرة حج حجة الوداع

وفيها تنبأ باليمامة مسيلمة الكذاب

وفيها توفى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر . وكان عمره ثلاثا وستين سنة . هكذا قال بعضهم

وقال بعض المؤرخين توفى لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول ٨ يونيه سنة ٦٣٢ ميلادية فغسل وكفن فى ثلاثة أثواب وحفر له تحت فراشه صلى الله عليه وسلم ودفن فى قبره ليلة الاربعاء وله ثلاث وستون سنة قمرية وثلاثة أيام .

قال بعضهم لما توفى أراد المهاجرون من أهل مكة دفنه

بمكة لانها موطنه الاصلى . وأراد الانصار من أهل المدينة دفنه بالمدينة لانها دار هجرته ومدار نصرته . وأرادت جماعة نقله الى بيت المقدس لانه موضع دفن الانبياء

ثم اتفقوا على دفنه بالمدينة فدفنوه فى حجرته حيث قبض

وينبغى معرفة اولاده عليه الصلاة والسلام وهم ٧ على الصحيح القاسم . زينب . رقية . فاطمة . ام كلثوم . عبدالله الملقب بالطيب والطاهر . ابراهيم

قال ابو الفداء تزوج بخمس عشرة امرأة . وولد له سبعة اولاد كلهم من خديجة الا ابراهيم فانه من مارية القبطية التى بعث بها المقوقس

ولم يعش منهم بعده الا فاطمة . عاشت بعده ثلاثة أشهر فقط

﴿ الخلفاء الراشدون ﴾

قال بعض المؤرخين بويع لابى بكر بالخلافة فى اليوم الذى توفى فيه النبى صلى الله عليه وسلم سنة ١١ هـ ـ ٦٣٢ م ومات ابو بكر سنة ١٣ هـ بعد خلافته بسنتين وأربعة أشهر

وهو ابن ٦٣ سنة

وكانت خلافته بعد النبي صلى الله عليه وسلم غاية في الحكمة الالهية وتثبيت الدين وأمر المسلمين

ثم بويع لعمر في اليوم الذى مات فيه ابو بكر وهو يوم الاثنين لثمان خلون من جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ ــ ٦٣٤ م

ومات عمر قتيلا يوم الاربعاء لخمس بقين من ذى الحجة سنة ٢٣ هـ قتله ابو لؤلؤة المجوسى وخلافته ١٠ سنين وستة اشهر وثمانية ايام . وعمره ٦٣ سنة

ثم بويع لعثمان في اول يوم من سنة ٢٤ هـ ــ ٦٤٤ م . واستشهد وعمره نيف وثمانون سنة وكانت خلافته ١٢ سنة وقيل الا اثنى عشر يوما

ثم بايع الناس عليا لخمس بقين من ذى الحجة سنة ٣٥ هـ ٦٥٦ م ثم قتله ابن ملجم سنة ٤٠ هـ ــ ٦٦١م بالكوفة وخلافته ٤ سنين و ٩ اشهر وثمانية ايام وعمره ٦٣ سنة

ولما مات بويع ابنه الحسن بالكوفة وبويع معاوية بالشام

ثم ان الحسن رأى ان النزاع الذى كان بين ابيه ومعاوية انتقل اليه فلمصلحة المسلمين وحقن دمائهم سلم الامر الى معاوية بعد ستة اشهر من توليته فبايعه لخمس بقين من ربيع الاول سنة ٤١ هـ ـ ٦٦١ م وبذلك خلصت الخلافة لمعاوية وبنى امية فأحسنوا السياسة الخارجية

قال بعضهم أن الحسن هو آخر خليفة من الخلفاء الراشدين

ومدة الخلفاء الراشدين من سنة ١١ هـ الى سنة ٤١ هـ أى من سنة ٦٣٢ م الى سنة ٦٦١ م

وكان مركز خلافة أبى بكر وعمر وعثمان المدينة ـ رضى الله عنهم أجمعين

كان الخلفاء الراشدون خيراً و بركة على الامة الاسلامية وكانت أمورهم أشبه بالنبوات . بهم وطدت دعائم الدين وفتحت الفتوح وكان أغلب الفتوح على يد عمر

مات النبى صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض تمام

الرضا وبهم مطمئن

قاموا بعده بالامر خير القيام فأحسنوا سياسة الناس وراقبوا الله فى الرعية وقدّروا أنفسهم بالعوام لئلا يشنع بالفقير فقره . فكانوا مضرب الامثال . فى الكمال . على ممر الليال

(الامامة)

يجب على المسلمين نصب امام ينفذ أحكام الله و يقيم الحدود و يسد الثغور ويجهز الجيوش وغير ذلك من المصالح التى يأمر بها الكتاب والسنة

و ينبغى أن يكون من قريش ان كان فيهم كفء صالح . قالوا لخبر الأئمة من قريش

و يشترط أن يكون مسلما حرا ذكرا بالغا عاقلا سائسا قادرا على فعل المصلحة . و ينبغى ألا يحتجب عن الناس الا من عذر لا يذهب بالمصلحة

قال بعضهم ولا ينعزل بالفسق والجور

وفى قول للشافعية أنه ينعزل بذلك ولكن قال جماعة

ان عزله بذلك ربما أثار الفتن . فيؤخذ منه أنه عند أمن الفتنة يعزل

ويجوز للامام أن يعهد بالخلافة من بعده لغيره كما فعل أبو بكر مع عمر

هذا كله أشار اليه النبي صلى الله عليه وسلم فهو هادى الامة الى الصراط المستقيم

هو الذى بعثه الله رحمة للعالمين . هو الذى جعل الله أعظم معجزاته القرآن

ذلك الكتاب الذى فيه من الهدى ما أنار الارض شرقا وغربا بنور المعرفة

ذلك الكتاب الذى جمع قانونين . قانون المعاملة التى بين الخالق والمخلوق . وقانون المعاملة التى بين المخلوق والمخلوق

ذلك الكتاب الذى أشار الى كل علم نافع وكل كمال يعود الى الجثمان والنفس

ذلك الكتاب الذى يوافق الفطرة ولا ينافر العقل الصحيح فى شئ

ذلك الكتاب الذى فى اتباعه مصلحة المعاش والمعاد

ذلك الكتاب الذى يرجع اليه المتدينون ويوافقه العقلاء والطبيعيون المحققون وان لم يعرفوه

ذلك الكتاب الاخير والطراز الجديد الذى نسخ ما تقدمه من الكتب السماوية رغم أنف المعاندين القائلين أن النسخ يلزم عليه ظهور مصلحة كانت خفية . وذلك طعن على الله

لقد ضلوا فى أنفسهم فان المصلحة تختلف بحسب الازمنة والامكنة والناس

ان العالم يسعى الى الرقى والكمال . وذلك أمر طبيعى . فلا بد من التدرج فى الامور حتى يصل الامر الى حده الاشرف

ومن هنا يعلم أنه لا مانع من نسخ بعض الكتاب بالكتاب ولا من نسخ بعض السنة ببعض . الى غير ذلك

هـذا كتابنا ينطق عليكم بالحق . فويل للذين لا يفهمون فينكرون . لاسيما طائفة من المسلمين

انهم بذلك يفرون من الدين من حيث يريدون تأييده

وتبعيده عما لا يليق (صم بكم عمى فهم لا يعقلون)

من نظر الى الكتب السماوية وجدها متدرجة فى الكمال وسائرة بالناس الى الترقى لان العالم يسعى الى التقدم فى الحضارة والعلم . هذه قضية لا ينكرها أحد اليوم . فقد بدا الصبح لذى عينين

الكتب السماوية منزلة فى الالواح أو على لسان الملك كما قالوا . وهى تشمل الصحف . ويجب الايمان بها . واشتهر أنها ١٠٤ – صحف شيث ٦٠ وصحف ابراهيم ٣٠ وصحف موسى قبل التوراة ١٠ والكتب الاربعة توراة موسى وزبور داود وانجيل عيسى وفرقان محمد عليهم الصلاة والسلام

وقيل صحف شيث ٥٠ وصحف ادريس ٣٠ وصحف ابراهيم وموسى ٢٠ بالسواء والكتب الاربعة

وقيل أنها ١١٤ صحف شيث ٥٠ وصحف ادريس ٣٠ وصحف ابراهيم ٢٠ واختلف فى ١٠ فقيل لآدم وقيل لموسى والكتب الاربعة

والاولى عدم حصرها في عدد لعدم الحجة القاطعة فيكفي الايمان بان الله انزل كتبا على الاجمال الا الاربعة فيجب معرفتها تفصيلا

وينبغي معرفة ان القرآن اوسعها علما واعمها نفعا واعلاها شرفا . كما ان صاحبه خاتم النبيين

(الاجتهاد والتقليد)

ان الذين افرغوا وسعهم في استنباط الاحكام من الكتاب والسنة هم الأئمة المجتهدون أصحاب المذاهب . فعليهم ان يعملوا بما علموا . وعلى الضعيف من الامة ان يقلد احدهم قال تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لاتعلمون

واما من كان أهلا للاجتهاد في شيء فلا يجوز له التقليد فيه . ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا

الكتاب والسنة يشيران الى امور كثيرة تسمى في علم الكلام بالسمعيات التي يجب اعتقادها شرعا . ولنذكر منها طرفا على انه نموذج فنقول

﴿ الاسراء ﴾

اعلم ان الله اسرى بعبده محمد صلى الله عليه وسلم ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى

ثبت ذلك بالكتاب والسنة واجماع المسلمين فمن انكره كفر

اما عروجه من المسجد الاقصى الى السموات السبع فثابت بالاحاديث المشهورة. فمن انكره لا يكفر. وقد انكره طائفة من الصحابة . لكن الجمهور منهم لم ينكروه تبعا لابن عباس

قال علماء الكلام والحديث كان ذلك يقظة بالروح والجسد كما اجمع عليه اهل القرن الثانى ومن بعده

اما بعض القرن الاول فمخالف فى ذلك ومفترق فمن قائل كان مناما ومن قائل كان بالروح فقط . وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس . ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله . وهو على كل شئ قدير

....

اختار شمس الدين محمد الرملى من أئمة الشافعية ان

الاسراء كان ليلة سابع عشرى ربيع الاول قبل الهجرة بسنة ، وقيل سابع عشرى ربيع الآخر ، وقيل سابع عشرى رجب وقيل قبل الهجرة بستة عشر شهرا وقيل بثلاث سنين

⁂

﴿ الرؤيا ﴾

لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية

اذا تعطل الجسم بالنوم قل ضغطه على الروح فصار لها السلطان وجاز عقلا ان ترى من جانب الله حينئذ بشارة او تحذيرا أو غير ذلك ، وهذا هو ما جاء في السنة انه جزء من الوحى

وبعض الانبياء اوحى اليه وحى الرؤيا ، وأمر الوحى عجيب لمن يعقل

ما رأته الروح في النوم يقع في اليقظة بعينه ان تم اطلاعها أو بما يلائمه من بعض الوجوه ان لم يتم اطلاعها ،

وبعض الناس ينكر ان تدل على شئ في اليقظة ولكنه لا يستطيع ان يقيم الحجة على ذلك

ومن الرؤيا ما سببه بخار الطعام أو الفكر حال اليقظة

في بعض الاشياء أو نحو ذلك . وليس ذلك من الرؤيا الصادقة .
وهذا هو الذى دعا بعض الناس الى انكار القسم الاول
ولكن المؤمنون يعرفون ان لكل رؤيا مكانة

النوم حالة طبيعية تتعطل معها القوى بسبب صعود البخار الى الدماغ

النوم وفاة خفيفة جعلها الله فى الدنيا لراحة البدن لئلا تهلكه الاعمال

وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار

﴿ الموت ﴾

قال الاشعرى الموت صفة وجودية تضاد الحياة . فالتقابل بينهما تقابل التضاد . قال تعالى . الذى خلق الموت والحياة

وذهب الاسفرايني والزمخشرى الى انه عدمى وعرّفاه بانه عدم الحياة عما من شأنه ان يكون حيا . فالتقابل بينهما تقابل العدم والملكة . وقالا خلق فى الآية بمعنى قدّر . ولكنه خلاف الظاهر عند الاشعرى واتباعه

قال علماء الكلام يجب التصديق بعموم فناء المخلوقات ،
وانه على الوجه المعهود شرعا من فراغ الآجال المقدرة وان
كانت مرتبطة بأسبابها

وقال بعض الناس ان الموت يحصل بمجرد اختلال
نظام الطبيعة

المسلمون على ان عزرائيل عليه السلام هو ملك الموت
الذى يتوفى الانفس بأذن ربها ٠ قل يتوفاكم ملك الموت
الذى وُكِّل بكم ٠ والمتوفّي في الحقيقة هو الله ٠ الله يتوفى
الانفس حين موتها

عزرائيل يقبض الارواح حتى من البهائم والطيور ونحو
ذلك . هكذا قال أهل السنة

وقالت المعتزلة لا يقبض ارواح غير الثقلين من نحو
الملائكة والطيور

وقالت طائفة ٠ الذى يقبض ارواح نحو البهائم اعوانه

عزرائيل يقبض روح نفسه ٠ وقيل يقبضه الله

هذه مذاهب مختلفة اصلها الكتاب والسنة ٠ والعلم

عند الله . كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

﴿ النفس ﴾

بعض العلماء يقول النفس هى الروح .

ورجح بعضهم ان الروح مابه حياة البدن . والنفس مابه تدبيره .

وقال بعضهم الروح من حيث الحياة روح ومن حيث التدبير نفس ومن حيث الادراك عقل . فالذات واحدة وان اختلفت بالاعتبار

وقال بعضهم العقل نور روحانى به تدرك النفس العلم الضرورى والنظرى

فالعقل من آلات النفس كسائر القوى المودعة فى الانسان . فنسبة الادراك الى قواها كنسبة القطع الى السكين . وقيل غير ذلك قل الروح من امر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا

ويمكن ملاءمة هذا الكلام . لمن له بصيرة وإلمام . وان لم نكلف معرفة حقيقة ذلك

اتفق المسلمون على ان النفس باقية قبل نفخ اسرافيل في الصور النفخة الاولى . وتكون بعد فناء جسمها منعمة او معذبة

اما عند النفخة الاولى فانها تفنى لآية كل من عليها فان

ورجح المتأخرون انها لا تفنى حينئذ فهى باقية . وكذلك عجب الذنب . وقالوا ان العموم فى آية كل شيء هالك الا وجهه مقصور على غير الامور التى استثنتها الاحاديث

الجناحية أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين يقولون الارواح تتناسخ

فكان روح الله فى آدم ثم فى شيث ثم فى الانبياء والائمة حتى انتهت الى على واولاده الثلاثة ثم الى عبد الله هذا . فقد جاءوا ظلما وزورا

﴿ سؤال القبر ﴾

سؤال منكر ونكير حق . هذان الملكان يسألان الميت من أُمة الدعوة المؤمنين والمنافقين والكافرين . هكذا قال الجمهور

وقال غيرهم الكافر لا يسأل

قال الجمهور يسأل الميت ولو تمزقت اعضاؤه او أكلته السباع او نحو ذلك كما ثبت فى السنة ٠ والله على كل شئ قدير ٠ وفهم ذلك ليس بالعسير

وهذا السؤال هو فتنة القبر

وفى بعض الاحاديث بعض بيان له ولكنه غير قطعى

والميت فى نحو القبر ينعمه الله أو يعذبه

قال الجماعة ان ذلك واقع على البدن والروح جميعا ٠ وفى بعض كلام الغزالى رحمه الله ان ذلك واقع على الروح ٠ والبدنُ تابع لها ومعنى تأثر البدن أنها تشعر بأنه بدنها وكأنها تقول يا بدنى أنا متأثرة بخير او شر ٠ ولكن الله يفعل ما يشاء ٠ والمسألة من أمور الغيب فنترك لله وما يذكر الا أولو الالباب

﴿ اليوم الآخر ﴾

اليوم الآخر حق ٠ يوم يقوم الناس لرب العالمين

هو يوم القيامة ٠ ووصف بالآخر لانه آخر الايام ٠ وقيل

لأنه لا ليل بعده . واوله من النفخة الثانية . وقيل من الحشر وقيل من الموت . ولا نهاية له . وقيل ينتهى بدخول أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار .

وتفويضه الى الله أولى لأنه غيب

هذا هو يوم البعث والنشور . الله يحي الموتى . كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين

الله يحشر الخلائق الى الموقف لا فرق بين انس وجن وملك وبهيمة وغير ذلك

وذهبت طائفة الى أنه لا يحشر الا من يجازى

وأول من تنشق عنه الارض محمد صلى الله عليه وسلم

وصحح المتكلمون أن الجسم المعاد هو الجسم الاول بعينه يعيده الله بعد عدمه جميعا الا عجب الذنب فأنه لا يعدم

وقيل يعاد بعد تفريق اجزائه بحيث لا يبقى فيه جوهران فردان على الاتصال

قالوا وهذا الخلاف فى غير نحو الانبياء فان أجسامهم

لاتأكلها الارض

وصححوا اعادة الاعراض وكذلك الازمان قالوا لتتحقق اعادة الجسم بعينه . ولتشهد الازمان . بما وقع من الانسان وجماعة يجعلون هذا الموضوع محل بحث وتفكير لانه خطير

(الحساب)

الحساب حق ثابت بالكتاب والسنة والاجماع

الحساب ان يوقف الله المحاسب على اعماله لافرق بين المؤمن والكافر والانس والجن الا من شاء الله . ذلك ليظهر العدل وتطمئن النفوس . ان الله يحاسب من يريد جميعا مما لا يشغله أحد عن أحد . والله على كل شئ قدير

(أخذ الصحف)

ثبت بالكتاب والسنة والاجماع ان العباد يأخذون الصحف يوم القيامة . فيجب الايمان به . ومن انكره كفر

قال العلماء الصحف هى الكتب التى كتبت فيها

الملائكة مافعلته العباد فى الدنيا .

فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاءم اقرءوا كتابيه . انى ظننت انى ملاق حسابيه . فهو فى عيشة راضية . فى جنة عالية . قطوفها دانية . كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم فى الايام الخالية .

واما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه . ولم ادر ماحسابيه . ياليتها كانت القاضية . ماأغنى عنى ماليه . هلك عنى سلطانيه . خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلوه . ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه . انه كان لا يؤمن بالله العظيم . ولا يحض على طعام المسكين . فليس له اليوم هاهنا حميم . ولا طعام الا من غسلين . لا يأكله الا الخاطئون

﴿ الميزان ﴾

الميزان لابد منه يوم القيامة . والوزن يومئذ الحق . ومحله بعد الحساب — والجمهور على ان الموزون الكتب التى فيها اعمال العباد

وذهب بعضهم الى ان الموزون اعيان الاعمال فتصور

الاعمال الصالحة بصورة حسنة . والاعمال السيئة بصورة قبيحة وهذا في المؤمن

اما الكافر فتخف حسناته . وتثقل سيئاته

والميزان واحواله من عالم الغيب فلا تجب علينا معرفة حقيقة ذلك بل يوكل امره الى الله

﴿ الصراط ﴾

الصراط حق . وهو لغة الطريق الواضح . وشرعا جسر ممدود على متن جهنم يرده الاولون والآخرون حتى الكفار خلافا لبعضهم فانه يقول لا يمرون عليه

يمر على الصراط الانبياء والصديقون والشهداء ومن يدخلون الجنة بلا حساب وغيرهم

قال عليه الصلاة والسلام يضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون انا وامتي اول من يجوز

وقال كثير من المعتزلة الصراط هو طريق الجنة وطريق النار

وقال بعضهم هو الدليل الواضح ـ الرسول لم يبين حقيقة

الصراط فلا تجب معرفة الحقيقة بل تترك لله لانها غيب

﴿ الحوض المورود ﴾

قال علماء الكلام يجب الايمان بان للنبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة حوضا يرده طائفة فيشربون منه قالوا ولا يكفر منكره وانما يفسق . وقد نفى الحوض المعتزلة

وفي خبر الصحيحين حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء . ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه اكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ ابداً

وهناك ايضا احاديث كثيرة فيه قال بعضهم لكنها لم تصل رتبة القطع

﴿ الشفاعة ﴾

يجب الايمان بان للنبي صلى الله عليه وسلم شفاعة . ففي الصحيحين انا اول شافع واول مشفع . الى غير ذلك من الاخبار

قال اهل السنة وغيرهم انه يشفع في فصل القضاء

الشفاعة الكبرى

اما شفاعته فيمن استحق النار الا يدخلها وفيمن دخلها ان يخرج منها فقد اثبتها أهل السنة ونفاها غيرهم

ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء

وفى بعض الاخبار ان غير محمد صلى الله عليه وسلم يشفع . كبقية الانبياء والملائكة والصحابة والشهداء والعلماء

من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه

« الجنة والنار »

الجنة والنار حق . واتفق علماء الامة ان الله اوجدهما فيما مضى . وانكرهما الفلاسفة بالمرة . وانكرهما قبل يوم القيامة بعض المعتزلة كأبى هاشم وعبد الجبار . قالا ولا توجدان الا يوم القيامة لانه محل النعيم والشقاء

استدل علماء السنة بظاهر الكتاب والسنة فى نحو قصة آدم وحواء وبالاجماع قبل الخلاف

والفريق الآخر يقول ان آدم كان رجلا فى جنة والجنة

البستان وكانت تلك الجنة على ربوة وهى المحل المرتفع من الارض ثم عصى ربه فأنزله الى بطن الوادى

الاكثرون على ان الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش . وان النار تحت الارضين السبع

ولكن يقول علماء الارض ان السموات محيطة بالارض والارض اقاليم معروفة بعضها فوق بعض لانها كالكرة وان كانت منبسطة . وقد ثبت ذلك بالمشاهدة . والقرآن لا ينافى ذلك . وفى جوف الارض نار ايما نار . هى منشأ الزلازل والبراكين

والحق ان الجنة والنار لا يعلم مقرهما الا الله

اهل السنة على ان الجنة والنار باقيتان بعد دخول اهلهما الى ماشاء الله

وقال الجهمية أصحاب جهم بن صفوان الجنة والنار تفنيان بعد دخول اهلهما حتى لا يبقى موجود سوى الله تعالى

وقال فريق ان الجنة نعيم النفس والنار شقاؤها . وما فى القرآن تقريب وتمثيل

﴿ رؤية الله ﴾

ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى الخ

قال المعتزلة هذا دليل على استحالة رؤيته فأن (لن) للنفى على التأبيد وقد حصل تعليق الرؤية على استقرار الجبل حال دكه وهو محال فالرؤية محالة . كيف وهى ادراك ببعض الحواس فى جهة . فنسبة جواز الرؤية الى الله كنسبة الولد اليه

وانما طلبها موسى ليبكت السفهاء الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة . فأعلمهم بالخطأ

قال المعتزلة ومما يؤيد ذلك آية لا تدركه الابصار فأنها دالة على انه لا ينظر

وقال أهل السنة المعروف عند علماء العربية ان (لن) لا تفيد تابيد النفى خلافا للزمخشري . ونحو قوله تعالى لن يؤمن من قومك الا من قد آمن . وقوله لن تخرجوا معى أبداً . دليل على ذلك. فان هذا جائز عقلا لولا أن الخبر منع من

وقوعه . فالرؤية جائزة كذلك

والمعلق عليه انما هو استقرار الجبل من حيث هو استقرار وذلك من الجائز وتعلق العلم بأنه لا يستقر لا يرفع امكان استقراره

وحينئذ تكون الآية دليلا لاهل السنة القائلين بجواز رؤيته تعالى . لان طلب المستحيل من الانبياء محال خصوصا ما يقتضى الجهل بالله . ولذلك قال الله لن ترانى دون لن أرى تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد فى الرائى لم يوجد بعد . ففى قوله لن ترانى أيضا دليل على جواز الرؤية

فالحق أن موسى طلب الرؤية لنفسه لعلمه بجواز ذلك . والذى كان الاهلاك بسببه هو عبادة العجل فى قول اكثر المفسرين

ولو كانت الرؤية تتوقف على جهة المرئى لكانت المعرفة تتوقف على جهة المعروف . ولا خلاف أنه سبحانه يعرف لا فى جهة . فكذلك يرى لا فى جهة

وأما آية لا تدركه الابصار فقال فيها أهل السنة لا نسلم أن الادراك بالبصر هو مطلق الرؤية بل هو رؤية مخصوصة

وهى التى على وجه الاحاطة . فالادراك المنفى فى الآية أخص
من الرؤية ولا يلزم من نفى الأخص نفى الاعم . على أنه
لادلالة فيها على عموم الاوقات والاحوال

وقد يستدل بها على جواز الرؤية لانها لو امتنعت ما
حصل التمدح بنفيها كالمعدوم . وانما التمدح فى أنه تمكن
رؤيته ولا يرى للتعزز والاحتجاب بحجاب العظمة والكبرياء

قال أهل السنة ان الوجود يصحح الرؤية بدليل أن
جواز الرؤية حكم يستدعى مصححا

فلو خلى العقل ونفسه لم يحكم بامتناع رؤيته تعالى ما لم
يقم له برهان قاطع على ذلك مع أن الاصل عدمه

وفى القرآن وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة

وتأويل الجبائى تأويل منحط اذ قال النظر فى الآية بمعنى
الانتظار والى اسم بمعنى النعمة . انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون

وفى السنة الصحيحة انكم سترون ربكم كما ترون القمر
ليلة البدر

هذا حديث مشهور رواه أحد وعشرون من اكابر الصحابة

والتشبيه للرؤية فى عدم الشك والخفاء لا للمرئى . وقول المعتزلة اى سترون رحمة ربكم خلاف الظاهر

فالرؤية جائزة عقلا دنيا وأخرى . وواجبة شرعا فى الآخرة . اطبق على ذلك اهل السنة متمسكين بالكتاب والسنة والاجماع

قال العلماء ان النبى صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة الاسراء وكانت الرؤية بعينى رأسه على الراجح وهما فى محلها خلافا لمن قال حوّلتا الى قلبه

ولم تقع فى الدنيا لغيره صلى الله عليه وسلم

ولكن نفت عائشة وقوعها له فى الدنيا . والمسلمون يقدمون عليها فى هذه المسألة ابن عباس حتى قالوا كان يراه فى كل مرة من مرات المراجعة

يقولون انه يُرى بالحدق فقط كما هو الاصل فى الرؤية لكن لا فى مكان ولا جهة ولا ثبوت مسافة . قالوا لان قياس الغائب على الشاهد فاسد . لكن هذا التعليل ربما طعن فى رؤيته بالحدق

وقيل يرى بجميع الوجه لظاهر قوله تعالى وجوه يومئذ الخ • وقيل يرى بكل جزء من اجزاء البدن ـ والاولى تفويض امر الرؤية الى الله لانها غيب

ان الذين يرون الله هم المؤمنون والمؤمنات . كذلك الملائكة كما قاله السيوطى • وقيل لا رؤية للملائكة وقيل الرائى منهم جبريل فقط

ويراه المؤمنون من الامم الماضية • ويراه اهل الفترة اذا قلنا انهم ناجون وان غيّروا وبدّلوا

ويراه المؤمنون من الجن فى الموقف مع سائر المؤمنين قطعا • وفى الجنة على الراجح

ولا يراه غير من ذكرنا كالحيوانات وكالكفار والمنافقين على الراجح لآية كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون

يراه اهل الجنة فى مثل يوم الجمعة والعيد

ويراه خواصهم كل يوم بكرة وعشيا

وبعض أهل الجنة يستمر فى مشاهدة ربه . هكذا قال علماء السنة

هؤلاء هم الذين ختم الله لهم بالحسنى وزيادة . وآخر دعواهم فيها أن الحمد لله رب العالمين

ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير .
ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض . ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار . ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار . ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا . ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد . فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع عمل عامل منكم

يقول مؤلفه حسين والى ابن الشيخ حسين والى ابن الشيخ ابراهيم والى الحسينى نسبا الشافعى مذهبا

ألفت هذا الكتاب بعد ان نظرت الى ما تمس اليه الحاجة من كتاب المواقف والمقاصد والمطالع والطوالع

والمسايرة والمسامرة والعقائد النسفية واليواقيت والجواهر
والعقد الثمين للسويدى وعقيدة السفارينى وابى بكر الخوارزمى
والدر النضيد للهروى وألجام العوام والمنقذ من الضلال
والمضنون به على غير أهله والاجوبة الغزالية والفقه الاكبر
للشافعى وابى حنيفة والسنوسية الصغرى والكبرى والجوهرة
والخريدة والهدهدى وما على ذلك من الشراح وغيرها ورسالة
التوحيد ـ ورسائل ابن سينا والخبيصى وملوى المنطق وما
عليهما من كتابة . وتاريخ ابن خلدون وابى الفداء وابن الاثير
وابن خلكان . واوائل السيوطى والتواريخ الحديثة وتفسير
الكشاف والبيضاوى والجلالين وصحيح البخارى ولسان العرب
والقاموس وتعريفات السيد وغير ذلك

فاذا رأيت شيئا فى كتابى ولم تره فى هذه الكتب فاعلم
انه من فكرى واستنتاجى .

ان أريد الا الاصلاح مااستطعت وما توفيقى الا بالله
عليه توكلت واليه انيب

ونجزت مسودته الاصلية بالقاهرة يوم الجمعة ٣٠ ربيع الاول سنة ١٣٢٦ ـ الموافق اول مايو سنة ١٩٠٨ ـ ثم زدت فيه بعض اشياء

وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين

هذه

صورة الامتحانات الحاصلة في هذه السنة الدراسية بمدرسة القضاء الشرعي

﴿ امتحان الثلاثة الاشهر الاولى ﴾

١ اذكر باختصار ما تعرفه من تاريخ علم التوحيد

٢ عرّف الممكن واذكر أقسامه

٣ كيف تقيم الدليل على وجود الله جل وعلا

﴿ امتحان الثلاثة الاشهر الثانية ﴾

أجب على اثنين من الاسئلة الثلاثة الآتية

١ اقم الدليل على واجب الوجود ـ الدرجة ٢٥ من ٥٠

٢ بين معنى السمع والبصر ومتعلقهما ودلّل على ذلك
ثم اذكر الفرق بينهما و بين العلم ـ الدرجة ٢٥

٣ بيّن معنى الوحدانية فى الذات والصفات والافعال واقم
الدليل على ماتقول ـ الدرجة ٢٥

﴿امتحان الثلاثة الاشهر الاخيرة﴾

١ كيف تستدل على ثبوت السمع له تعالى . ولماذا لا تثبت
له الشم ايضا بالقياس على السمع والبصر

٢ ماالفرق بين النبي والرسول وما حكمة ارسال الرسل .
وهل هنالك فائدة للبشر من وجود انبياء غير مرسلين

٣ هل يجوز فى حق الرسل والانبياء الكذب لمصلحة .
اقم البرهان على ماتقول

٤ ماالدليل السمعى على الصراط والميزان والملائكة والجان
وهل يجب علينا ان نعرف حقائقها

فهرس

صفحة

بيان الخطأ والصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢	١٠	لدين	الدين
٣	٨	وبعد نظهرها	وبعد نظرها
٩	١	م ظهر	ثم ظهر
١١	١٤	(٣٠٠)	(٣٣٠)
١٩	٥	القاوئ	القارئ
٢٣	١	فالممكن اعتبار	فالامكان اعتبار
٢٣	٢	وهذه طريقة	والممكن مايقبل الانتفاء والثبوت على التناوب ـ وهذه طريقة الخ
٢٩	٩	ج و	ج
٢٩	١٠	ج	وج
٣٦	٦	قدرتان	قدرتان مثلا

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٤٤	١١	م.صف	متصف
٤٦	١٥	لمنكه	لكنه
٦٣	١١	اتصال ل	اتصال
٦٨	٧	يشهد الا	يشهد ان لا
٧٤	٤	قتلة	قتله
٧٥	٢	وانه لم	وان لم
٩٢	٦	للملك	الملك
٩٢	١١	منتزلة	منزلة
١٣٥	٩	لزلازل	الزلازل